MINIA UNIVERSITY

٩٦/٦٦٦٢

مجلة الدراسات العربية

دورية علمية محكمة

تصدر عن كلية دار العلوم – جامعة المنيا

المشرف العام

أ.د/ عبد المنعم السيد أحمد

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د/ سعيد الطواب محمد

وكيل الكلية للدراسات العليا

نائب رئيس التحرير

أ.د/ منير عبد المجيد فوزي

وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

مدير التحرير

د. السيد محمد سيد

سكرتارية تنفيذية

أ/ وائل نبيل أنس

العدد الثامن والعشرين – يونيو ٢٠١٣م (المجلد السابع)

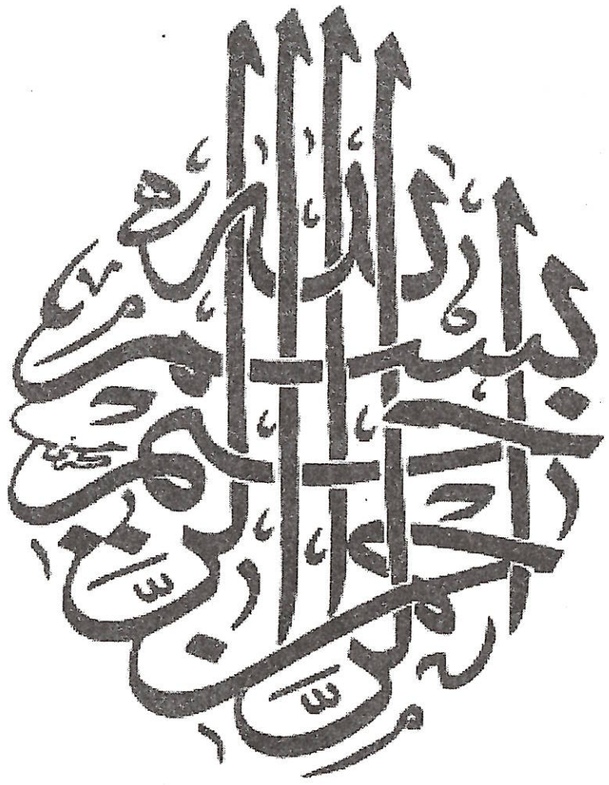

هيئة التحرير

المشرف العام

الأستاذ الدكتور/ عبد المنعم السيد أحمد عميد الكليـــة

رئيس التحرير

أ.د/ سعيد الطواب محمد

وكيل الكلية للدراسات العليا

نائب رئيس التحرير

أ.د/ منير عبد المجيد فوزي

وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

مستشارو التحرير:

الأستاذ الدكتور/ محفوظ علي عزام

الأستاذ الدكتور/ محمد شرف الدين خطاب

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرحيم محمد

الأستاذ الدكتور/ أحمد عارف حجازي

الأستاذة الدكتورة/ نعمة علي مرسي

الأستاذ الدكتور/ ممدوح عبد الرحمن الرمالي

الأستاذة الدكتورة/ سوسن ناجي رضوان

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله حسين

الأستاذ الدكتور/ حافظ جمال الدين المغربي

مدير التحرير:

الدكتور/ السيد محمد سيد

الآراء الواردة بالبحوث تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

المراسلات: باسم السيد الأستاذ الدكتور/ عميد كلية دار العلوم – جامعة المنيا

Email: Dareluloom-min@hotmail.com
Tele. Fax: ٠٨٦-٣٦٦٠٩١

ت. فاكس: ٠٨٦ -٣٦٦٠٩١

اللائحة الخاصة بقواعد النشر بالمجلة العلمية
لكلية دار العلوم

قواعد النشر:

١- تصدر كلية دار العلوم – جامعة المنيا – مجلة علمية محكمة باسم "مجلة الدراسات العربية".

٢- المجلة دورية نصف سنوية لنشر فيها الأبحاث المقدمة من أعضاء هيئة التدريس أو الباحثين في الجامعات، وكذلك يخصص باب بالمجلة لنشر ملخصات الرسائل العلمية التي سيتم منحها بالكلية.

٣- تقبل المجلة للنشر بها البحوث التي تقع في مجال علوم اللغة، والدراسات الأدبية والنقدية، والعلوم الإسلامية.

٤- يجب على الباحث عند تقديم بحث للنشر بالمجلة، تقديم إقرار بأنه لم يسبق نشره في مجلة أخرى أو مؤتمر سابق.

٥- تقدم أصول البحوث والمقالات من صورتين مكتوبة على الحاسب الآلي.

٦- يتم إرسال أصل البحث إلى مدير تحرير المجلة، ويتصدر الصفحة الأولى عنوان البحث، يليه اسم الباحث ثم وظيفته بين قوسين، على أن يقدم ملخصاً للبحث في حدود عشرة أسطر.

٧- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم السري وفقاً للنظام المتبع في المجلة على أن يراعى في شخص المحكم التخصص الدقيق في موضوع البحث، وتقوم هيئة التحرير بمخاطبة الجامعات على مستوى الجمهورية لتزويدها بأسماء السادة الأساتذة على مستوى التخصصات المختلفة.

٨- لا ترد أصول الأعمال المقدمة للمجلة سواء قبلت للنشر أم لم تقبل.

٩- يراعى في إعداد قائمة المراجع الآتي:

أ- الكتاب: اسم المؤلف – التاريخ (مع بيان الطبعة) – عنوان الكتاب – مكان النشر – دار النشر.

ب- المقالات والدوريات تبدأ باسم صاحب المقال – عنوان المقال – اسم الدورية – رقم العدد وتاريخه – الصفحات التي يقع فيها المقال.

ج- الرسائل العلمية تبدأ باسم صاحب الرسالة – عنوان الرسالة – الكلية والجامعة – التاريخ.

د- يقدم الباحث البحث المراد نشره بالدورية منسوخاً بالحاسب الآلي باستخدام مايكروسوفت وورد، بخط Simplified Arabic، بنط ١٦، المسافة بين السطور تكون تام ١٨ والمسافة بين الفقرات ٦ نقط، ويقدم البحث مسجلاً على قرص مرن Floppy Disk بمقاس ٣,٥ بوصة، بالإضافة إلى نسخة مطبوعة على الورق مقاس A٤.

هـ- تقدم الأشكال التوضيحية والخرائط مرسومة بالحبر الشيني على ورق الكلك.

و- يقدم الباحث ملخصاً باللغة الإنجليزية في حدود ٢٠٠- ٢٥٠ كلمة.

ز- يقدم الباحث ورقة منفصلة A٤ مدوناً بها سجلاً مختصراً عن تاريخه الأكاديمي وتخصصه العام والدقيق إلى جانب اهتماماته العلمية، لاستخدام هذه البيانات في التعريف به لقراء الدورية.

١٠- يهدى نسخة من المجلة مجاناً للكليات والمراكز البحثية والعلمية داخل الجمهورية أو خارجها التي تحددها هيئة تحرير المجلة على ضوء اهتمام تلك المؤسسات العلمية بمجالات التخصص التي تعني بها المجلة.

١١- يهدى نسخة من المجلة إلى كل صاحب بحث منشور بالمجلة بالإضافة إلى عشر مستلات منفردة.

١٢- يهدى نسخة من المجلة إلى هيئة تحرير المجلة.

١٣- يمكن إهداء نسخة من المجلة إلى كبار الزوار المهتمين بالدراسات العربية.

١٤- يتم إيداع عشر نسخ من كل إصدار جديد بدار الكتب المصرية.

١٥- يتم إرسال خمس نسخ إلى مكتبة الإسكندرية.

١٦- يتم تزويد مكتبة الكلية بخمس نسخ من كل إصدار.

١٧- يتم تزويد المكتبة المركزية للجامعة بنسختين من كل إصدار.

١٨- يمكن قبول ونشر الأبحاث المكتوبة باللغات الأجنبية في مجالات التخصص التي تعني بها المجلة وفق قواعد النشر والتحكيم بالمجلة.

١٩- الآراء الواردة بالأبحاث العلمية التي تنشر بالمجلة تعبر عن آراء أصحابها دون تحمل أدنى مسئولية عن هذه الآراء.

٢٠- من حق هيئة تحرير المجلة رفض أية أبحاث لا تراها مناسبة دون إبداء الأسباب لأصحابها.

٢١- يمكن تقديم خدمة العدد الإلكتروني للمجلة من خلال اسطوانة مدمجة وفق سعر التكلفة.

٢٢- تنشر الأبحاث في المجلة بحسب أسبقية ورودها بعد إعدادها في صورتها النهائية للنشر.

المحتوى

م	الموضوع	الصفحة
١	من دعائم السلام في ضوء القرآن الكريم دكتورة/ هانم محمد عبده عوض	٣٨٨٥-٣٩١٤
٢	زينة النساء في القرآن الكريم (أحكام وآداب) دكتور/ راشد سعد العليمي	٣٩١٥-٣٩٦٤
٣	تقييم المؤرخ أ.د/ جمال الدين الشيال لحركة الترجمة في مصر في عهد محمد علي باشا دكتور/ عبد المنعم السيد أحمد جدامي	٣٩٦٥-٣٩٩٨
٤	التجربة الشعرية في ضوء نظرية العقاد النقدية دكتور/ عبد المطلب زيد	٣٩٩٩-٤٠٣٤
٥	المعاني الإضافية للتعليق بالباء دراسة في الدلالة والوظيفة من خلال آي القرآن الكريم دكتور/ محمد عبد الرحمن الريحاني	٤٠٣٥-٤٠٨٠
٦	القلب المكاني عند الأطفال "دراسة صوتية صرفية" دكتور/ مجدي إبراهيم محمد إبراهيم	٤٠٨١-٤١٢٠
٧	التحول الدلالي وأثره على العمل النحوي في أفعال القلوب دكتور/ عامر صلاح محمد	٤١٢١-٤١٦٨
٨	(حديث من غشنا فليس منا) دراسة حديثية فقهية دكتور/ سعود عبد الله المطيري	٤١٦٩-٤١٩٠

م	الموضوع	الصفحة
٩	تعليق العقود على الشروط وضوابطه دراسة فقهية مقارنة دكتورة/ عواطف العبد الهادي دكتورة/ وسن سعد الرشيدي	٤١٩١-٤٢٢٨
١٠	تحولات السارد بين التصدع والاستلاب في مجموعة "تلك التفاصيل" لحسن حجاب الحازمي دكتور/ سعيد الطواب محمد	٤٢٢٩-٤٢٤٠
١١	تأصيل الدراسات البينية في حقول الأدب دكتورة/ سعاد سيد محجوب	٤٢٤١-٤٢٩٠
١٢	صورة اللاجئ السياسي عند محمود درويش ديوان (حصائد لمدائح البحر) نموذجاً دكتورة/ هدى عثمان حسن	٤٢٩١-٤٣٤٦
١٣	الدعوة إلى الله في إفريقيا لجنة (العون المباشر نموذجاً)DIRECTAID دكتور/ جاسم أحمد عبدالله الجاسم	٤٣٤٧-٤٣٧٢
١٤	ندماء سلاطين السلاجقة ٤٤٧ هـ:٥٥٢هـ / ١٠٥٥ م : ١١٥٧ م دكتورة/ الشيماء سيد كامل	٤٣٧٣-٤٤١٦
١٥	وحدة الأديان بين الهندوسية والفرق الغالية دكتور/عبدالله عوض العجمي	٤٤١٧-٤٤٥٠
١٦	أثر التنازل عن دعوى الزنا في سقوط العقوبة دراسة فقهية مقارنة بقانون الجزاء الكويتي دكتور/ سالم حمد جابر المري	٤٤٥١-٤٤٩٢
١٧	دراسة في إثبات رسالة أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله دكتور/ محمد هشام طاهري	٤٤٩٣-٤٥١٤
١٨	أثر كثرة الاستعمال في كتاب روح المعاني دكتور/ مهدى بن على القرني	٤٥١٥-٤٥٢٨
١٩	مفهوم السياسة المالية في الاقتصادين الوضعي والإسلامي دكتور/ محمد نايف عايض	٤٥٢٩-٤٥٦٢
٢٠	زيادة الايمان ونقصانه دكتور/ حسين جليعب السعيدي	٤٥٦٣-٤٦٠٤

تأصيل الدراسات البينية
في حقول الأدب

دكتورة/ سعاد سيد محجوب
أستاذ الأدب والنقد المشارك
كلية الدراسات الإسلامية والعربية- دبي

تأصيل الدراسات البينية
في حقول الأدب

دكتورة/ سعاد سيد محجوب
أستاذ الأدب والنقد المشارك- كلية الدراسات الإسلامية والعربية- دبي

ملخص البحث

تناقش هذه الدراسة تأصيل الدراسات البينية في حقول الأدب، ففي هذا النوع من الدراسات حيث تتكامل العلوم والمعارف، و تتعدد وتتداخل فيما بينها، ومن ثم يتولد الإبداع والابتكار، وتتفجر الطاقات.

فالدراسات البينية أصبحت اليوم من الآليات المهمة في نقل العلوم والمعارف، فضلاً عن ذلك؛ فهي تفسح المجال للدارسين لاختيار ما يتلاءم مع قدراتهم وميولهم بما تطرحه من برامج متعددة ومتنوعة، فضلاً عن الخطط والبرامج التي تُمكن من تحقيق الطموحات والغايات، وتفادى أي تحديات مستقبلية محتملة؛ وهكذا يستطيع كل دارس التخطيط لمستقبله العلمي والمهني؛ لما تتضمنه من فكر أكثر شمولية، فضلاً عن التقدم في المجال العلمي والمعرفي. وحتى يستطيع العالم مواكبة عجلة التقدم والتطور أصبح الاهتمام بالبرامج الدراسية من سمات هذا العصر؛ لما تتميز به من تخطيط دقيق لبرامج مؤسسات التعليم العالي، ومحاولة الارتقاء بهذه البرامج لتواكب المعايير العالمية، بل تنافسها حتى تلائم سوق العمل ومتطلباته، فضلاً عن الاهتمام بالتنمية وآلياتها.

إذاً لقد أصبحت الحاجة ماسة إلى مثل هذا النوع من الدراسات في عصر العولمة، بل أصبحت من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها في عصر تداخلت فيه التخصصات لتتكامل.

وقد اقتصرت هذه الدراسة على الدراسات البينية أو التكامل الذي تم بين الأدب وعلم التفسير، كذلك الدراسات البينية التي تمت بين الأدب وعلم الجغرافيا وبين الأدب وعلم التاريخ.

المقدمة

يتناول هذا السفر تأصيل الدراسات البينية في حقول الأدب، وللحقيقة أقول دائماً ما كنت أنبه طالباتي إلى أن دارس الأدب أو عاشقه؛ لابد له من الإلمام بعلوم أخرى عديدة ومتباينة؛ حتى يستطيع فهم النص الأدبي؛ لأن فهم النص يحتاج إلى معرفة خلفية تاريخية عن الأديب والبيئة التي ولد فيها النص، وهنا نجد أن علم التاريخ يطل بوجهه.

كذلك لابد للمؤرخ من الوقوف عند بعض النصوص الأدبية التي أرخت لحوادث بعينها واستمد منها بعض الحقائق التاريخية المهمة.

وقلما يخلو نص شعري من وصف الرحلة؛ وحتى يتسنى للدارس أن يتابع خط سير رحلة الشاعر إلى الممدوح لنيل الجوائز والعطايا، أو رحلاته إلى المحبوب للتمتع بالرؤيا؛ وقد تكون الرحلة من ديار إلى ديار أخرى طلباً للماء والكلأ؛ وأياً كان نوع الرحلة، لابد من الرجوع إلى علم الجغرافيا، لأنه يستطيع أن يرفد الدارس بحقائق عن البيئة وتضاريسها: فهي مصدر إلهام الشاعر، كما ترفده هذه البيئة بالصور الشعرية وتشبيهاته، فالبيئة تترك بصماتها واضحة في نتاجه الأدبي؛ لذا كثيراً ما يحتاج الشاعر إلى قطع المفازات والسهول والوديان، أو السفر ليلاً في ظلام الصحراء الدامس أو نهاراً تحت هجير الشمس؛ وهدفه من كل هذا التجوال أن يصل إلى ديار المحبوبة أو التعرف على أطلالها الدراسة؛ وعندئذ ترى الشاعر يقف متأملاً في البيئة الطبيعية وتضاريسها؛ لترفده بما يحتاج إليه من عدة وعتاد، أو آليات قد تفسر له بعض الظواهر الطبيعية؛ حتى يستطيع تحديد الأماكن والديار التي كانت تسكنها من تعلق قلبه بها فالشاعر العربي خلد في شعره ما لا يعد ولا يحصى من المدن والأماكن والديار، ومنها من يقف شاهداً ودليلاً إلى يومنا هذا، فالشاعر العربي وضع اللبنات الأولى التي انطلق منها علم الجغرافيا؛ لذا كثيراً ما يقف الجغرافي عند النص الشعري يتأمله، ويقرأه بحاسة الجغرافي فيستنج ويستخلص منه بعض الحقائق الجغرافية.

كذلك لا يتسنى فهم النص دون استدعاء البيئة الاجتماعية التي لونت وشكلت حياة الشاعر؛ الذي لون النص بأحاسيسه المرهفة، وهنا يطل علم الاجتماع بوجهه ليشرح ويفسر الحياة الاجتماعية، لأن الشاعر ابن بيئته.

ومن المهم أيضاً معرفة تحت أي ظرف من الظروف الاقتصادية ولد النص وهل كان هذا النص يعاني من ضغوط اقتصادية مثل الفقر الذي قد يؤدى إلى اعتلال في صحة الشاعر البدنية والنفسية أو غير ذلك من الآفات والأمراض الاجتماعية، والوقوف على هذا الجانب في حياة الشاعر في غاية الأهمية، وأحياناً قد يولد النص تحت وطأة العبودية أو القهر والاستبداد وما يترتب على ذلك من سلبيات وكل هذه الآليات من مسببات الإحباط والانكسار الداخلي للشاعر، وقد يشق الشاعر عصا الطاعة على الظروف السياسية المفروضة عليه، وقد يخضع لها، وأحياناً قد لا يخلو النص من إشارة خفية قد تفضح مشاعر الشاعر.

تناقش هذه الدراسة تأصيل الدراسات البينية في حقول الأدب؛ أي المظان الحقيقة لهذه الدراسات، ففي هذا النوع من الدراسات حيث تتكامل العلوم والمعارف، و تتعدد وتتداخل فيما بينها، ومن ثم يتولد الإبداع والابتكار، وتتفجر الطاقات.

تطرح هذه الدراسة عدداً من الأسئلة منها:

١. ما الثمار التي يمكن أن يحصدها الدارس من هذا النوع من الدراسات؟ وما الأهداف التي يمكن أن تتحقق من هذه الدراسات في حقول الأدب في عصر العولمة والانفجار المعلوماتي؟ وهل سوق العمل في حاجة ماسة إلى هذا النوع من العلوم والمعارف؟ ولا يغيب عن البال أن ربط التعليم باحتياجات سوق العمل عملية غير يسيرة؛ لأن السياسات التعليمية تستغرق وقتاً طويلاً؛ بينما احتياجات سوق العمل تتغير بسرعة، وهل أصبحت الدراسات البينية من الضرورات التي لا يمكن أن يُستغني عنها في حقول الأدب في عصر التخصصات المتداخلة، أم تعد مظهراً من مظاهر الترف الأكاديمي والمعرفي؟

٢. هل تحتاج الدراسات البينية في مضمار الأدب العربي إلى آليات من نوع خاص؛ حتى تحقق الهدف المنشود منها؟

٣. ما المؤهلات التي لابد من توفرها في المتعلم والمعلم، وما البيئة المناسبة لتلقي هذا النوع من العلوم والمعارف؛ لتصبح نمطاً من أنماط التفكير، بل أسلوباً من أساليب الحياة.

هذه الدراسة كفيلة بأن تسلط الضوء على كل هذه الاستفسارات والتساؤلات من خلال مباحث الدراسة

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهمية الدراسات البينية، وفائدة التكامل بين حقول الأدب والحقول الأكاديمية المختلفة

أهمية البحث: مستمدة من أهمية الدراسات البينية التي ترنو ببصرها لتحقيق التكامل والانسجام بين المهن المختلفة، حتى تفي باحتياجات سوق العمل على أكمل وجه. كذلك استشراف المستقبل؛ وذلك بوضع الخطط والبرامج لتحقيق الطموحات والغايات، وتفادى أي تحديات مستقبلية محتملة.

أما المنهج الذي اعتمدته الدراسة فقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث ومنهجه

والبحث الذي سيتوزع في هيكليته بين مقدمة ومحورين وخاتمة كفيل بأن يسلط الضوء على هذه المحاور، ويثير عدداً من التساؤلات في محاولة جادة للوقوف للإجابة عن كل التساؤلات، كما يطرح عدداً من التوصيات والمقترحات. وتم تقسيم البحث على النحو الآتي:

المقدمة: مدخل تمهيدي

المبحث الأول: نشأة الدراسات البينية ومفهومها:

١ ــ مفهوم مصطلح الدراسات البينية وأصولها

٢ ــ فائدة الدراسات البينية وأهميتها

٣ ــ الصعوبات والتحديات

المبحث الثاني: توظيف الأدب في حقول العلوم

١ــ علم التفسير

٢ ــ علم التاريخ

٣ ــ علم الجغرافيا

الخاتمة: وتوضح أهم النتائج والتوصيات، فضلاً عن قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة

الدراسات السابقة

التكامل بين الأدب والعلوم المختلفة قديم قدم الأدب، وفي تراث الأمة العربية هنالك علماء كثر اتسموا بالموسوعية فقد حباهم الله تعالى بالموهبة الفذة، فتمكنوا من التبحر في أكثر من حقل من حقول العلم، وتركوا بصماتهم واضحة، وحازوا قصب السبق والريادة، لقد درج العرب في العصر الجاهلي إلى تمييز كل من تميز في مجال بعينه، وإلى هذا المعنى أشار جرجي زيدان بقوله:" وكان للعرب في جاهليتهم ألقاب يلقبون بها النابغين منهم، كما كان لسائر الأمم المتمدنة قديماً وحديثاً، فإذا نبغ أحدهم في الشعر سموه الشاعر ونسبوه إلى قبيلته فقالوا شاعر تميم أو عامر أو نحو ذلك، فيكون هذا اللقب مميزاً له عن سواه وكذلك الخطيب. وإذا امتاز أحدهم بالحكمة والفصل في الخصومة سموه(الحكم) مثل عامر بن الظرب ونحوه، وكان لهم لقب لا يعطى إلا لمن أحرز كل الآداب والفضائل وهو لفظ (الكامل) فكانوا يلقبون به الرجل إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً وهو يشبه لقب علامة اليوم ولقب (فيلسوف) عند اليونان القدماء وقد لقبوا به أرسطو ولعل العرب اقتبسوه منهم "(١)

وفي صدر الإسلام جمع الخلفاء الراشدون بين علوم الشريعة والفصاحة والبلاغة، ووضعوا اللبنات الأولى لدراسات أتت أوكلها في حاضرنا، فالدراسات البينية التي تمت على يد هؤلاء البررة الكرام الذين فتح الله تعالى عليهم ونالوا حظاً وافراً من علوم الدين على يد معلم البشرية الأول ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ، وكان ذلك بمثابة الفتح المبين لهم في العلوم

(١)تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، دار الهلال، د. ت، ج١/ ٣٤.

والمعارف، ومما ساعدهم وهيأ لهم الأسباب حبهم للغتهم واعتزازهم بها؛ لأنها من أعظم مآثرهم ومفاخرهم.

وأتت بعدهم ثلة طيبة من علماء المسلمين حباهم الله تعالى بهمة عالية وعقلية فذة، وكان حاديهم غَيْرتهم على الدين الحنيف؛ لذا سخروا كل قدراتهم لخدمته ورفع رايته، واستثمروا خبراتهم ومهاراتهم وعلومهم ومعارفهم في وضع الأسس والضوابط لعدد من العلوم أتت أُكلها وما زالت البشرية جمعاء تجني ثمارها الطيبة ، ودفعهم حب العلم، فضلاً عن الهمة العالية إلى الجمع بين أكثر من تخصص فمنهم من تبحر في العلوم الشرعية وتبحر في علوم العربية، والعلوم الإنسانية، والعلوم التطبيقية، وهكذا نالوا قصب السبق والريادة فيما يسمى اليوم بالدراسات البينية.

ومن العلماء من جمع بين أكثر من حقل من حقول العلم، وهذه الخاصية التي تفردوا بها سميت لاحقاً بالموسوعية، حيث يتم التداخل والتكامل بين أكثر من حقل من حقول العلوم والمعارف. وعلى سبيل الذكر لا الحصر من المفسرين وعلماء الحديث واللغة والأدب عبد الله بن عباس(ت٦٧ه)[1]وعروة بن أذينه[2] والإمام الشافعي.[3]

(١)عبد بد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي حبر الأمة، وإمام التفسير، وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة ٦٨هـ بالطائف.

(٢) أبوعامر عروة بن أذينة الليثي(ت سنة ١٣٠ هـ)من الفقهاء والمحدثين شاعر غزل وفخر (كتاب الأغاني: الأصفهاني ٣٣٠/١٨

(٣)أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ (٢٠٤١٥٠-هـ) ثالث الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث، وإضافةً إلى العلوم الدينية، كان الشافعي فصيحاً شاعراً، ورامياً ماهراً، ورحّالاً مسافراً.

ومن المؤرخين الأدباء ابن خلدون[1]. والذهبي [2] ومن المؤرخين الرحالة ابن بطوطة[3]. ومن الجغرافيين الأدباء الإدريسي[4] وياقوت الحموي[5]، وابن جبير، [6] وكل هؤلاء الجهابذة الإفذاذ كانوا كان لهم باع طويل في ميادين الأدب. وهذا غيض من فيض إذ لا يتسع المجال لحصر كل العقول التي اتسمت بالموسوعية وألفت في أكثر من حقل من حقول العلوم والمعارف ما زالت الأجيال تحصد ثمار ما غرسوه.

وفي الختام لا أدعي أنني قد استطعت أن أرسم صورة مثالية للدراسات البينية (أو التكامل الذي تم بين الأدب وعلم التفسير، وكان من ثماره أن ظهرت بعض علوم التفسير الحديثة منها التفسير الأدبي للقرآن الكريم، والتفسير الموضوعي، كذلك من حصيلة الدراسات البينية التي تمت بين الأدب وعلم التاريخ كان الأديب المؤرخ أو المؤرخ الأديب، أما الفسائل التي غرسها الأدب في حقول الجغرافيا أو ما رفدت به الجغرافيا ميادين الأدب فكان علم الأدب الجغرافي، أو جغرافية الأدب) لكن

(١)عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(٧٣٢ ــ ٨٠٨هـ)ومن أشهر مؤلفاته: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.(تاريخ ابن خلدون).

(٢)محدث وإمام حافظ. جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها. والامام الذهبي من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم، ومن أشهر كتبه (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وكتاب سير أعلام النبلاء)

(٣)محمد بن عبد الله ابن بَـطُوطَة :(٧٠٣ - ٧٧٩هـ)سجل رحلاته في كتابه تُحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)

(٤)أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي(٤٩٣ ـــ ٥٥٩هـــ)ومؤسس علم الجغرافيا، وله مؤلفات في التاريخ والأدب، ومن أشهر كتبه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)

(٥)شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(٦٢٦ - ٥٧٤ هـ) له مؤلفات كثيرة من أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء.

(٦)أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير" ابن جبير " (ت ٥٤٠ هـ) جغرافي، رحالة، كاتب وشاعر ألف كتاب تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، أو اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، (رحلة ابن جبير)

الموضوع ما زال بكراً وخصباً والروض ما زال أنفاً، وتلك طبيعة الأبحاث العلمية هي في تكامل مستمر ونمو مطرد.

المبحث الأول

نشأة الدراسات البينية ومفهومها

أولاً – مفهوم الدراسات البينية وأصولها

ثانياً – فائدة الدراسات البينية وأهميتها

ثالثاً – الصعوبات والتحديات

أولاً: مفهوم الدراسات البينية وأصولها

أ – مفهوم الدراسات البينية

كلمة بينية لغة من البين؛ والبَيْنُ في كلام العرب جاء على وجْهَين يكون البَينُ الفُرقةَ ويكون الوَصْلَ بانَ يَبِينُ بَيْناً وبَيُونةً وهو من الأَضداد [١]

وعند أي دراسة بينية من المفترض الربط بين علمين مختلفين في محاولة جادة لإزالة أي إبهام أو قصور بينهما؛ وعندئذ يتمّ التكامل بينهما، لكن لابد من الوقوف على خيوط مشتركة أو جسور تواصل تجمع بينهما، وعند معرفة هذه الروابط أو القواسم المشتركة يصبح من اليسير التكامل بينهما.

وصميم مصطلح الدراسات البينية يعني التكامل[٢]والتداخل الذي يتم بين أكثر من حقلين من الحقول؛ لذا نجد أن وصفَ الدراسات البينية بأنها مجال يجمع بين حقول متعددة التخصصات الأكاديمية، وقد تنشأ حقول معرفية جديدة نتيجة لهذا التداخل؛ لذا نجد ابن خلدون في مقدمته صنف العلوم إلى نوعين: علوم مقصودة لذاتها كالشرعيات

---

(١)لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـــ)، دار صارد بيروت الطبعة الثانية ١٣٠٠هـ، مادة بين. البين بمعنى الوصل مثل قول قيسْ بن ذَريح: لَعمْرُك لولا البيْنُ لا يُقْطَعُ الهوى ولولا الهوى ما حنّ لِلبيْنِ آلِفْ . أما البين بمعنى الفراق والعبد قول كعب بن زهير: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

(٢)كامل الشيء: كَمل شيئًا فشيئًا ، وحسابُ التّكامل في الرياضيات يعني: (الجبر والإحصاء) دراسة رياضيّة للتّكامل وتطبيقاته

في إيجاد الأحجام والمساحات وجذور المعادلات التّفاضليّة، وفي الاقتصاد جمع بين صناعات مختلفة يكمّل بعضُها بعضًا وتتعاون

في الوصول إلى غرض واحد.

والإلهيات، وعلوم آليه ووسيلة لهذه العلوم كاللغة العربية للشرعيات، والمنطق لعلم أصول الفقه وهذه العلوم الخادمة للأصلية لا تراد لذاتها وإنا لفائدتها في ما تسدده من خدمات للعلوم الأصلية، ومن ثم فكلما خرجت علن القصد صار الاشتغال بها لغواً "(١) مفهوم التكامل عند ابن خلدون منطلقه وحدة التكامل بين كل عناصر الطبيعة، لقد كان الهدف من هذا التكامل والتداخل بين العلوم هو:" خدمتها للقران الكريم توثيقا واستمدادا وبيانا. فقد اتجهت كل العلوم نحو القرآن الكريم بياناً واستنباطاً واستمداداً وتفسيراً وتأويلاً وتوثيقاً وتحقيقاً وقراءة..." (٢)

وقد نجد هذا التكامل في شخص حباه الله تعالى بقدرات إبداعية وملكات فكرية فاستطاع أن يتبحر في عدد من العلوم ويبدع في عدد من الفنون، فاتسمت شخصيته بالموسوعية كما يتم هذا التكامل بين حقلين من حقول العلم أو أكثر، وقد يتم هذا التكامل بين شخصين، أو أكثر والتراث العربي يقف شاهداً على كل هذه النماذج.

ب ــ أصول الدراسات البينية وجذورها

أصول الدراسات البينية وجذورها ضاربة في عمق التراث العربي، بل كانت معظم العلوم تنمو وتطور تحت مظلة التكامل والتداخل، ومصطلح التكامل المعرفي يعني الموسوعية التي اتصف بها عدد كبير من علماء المسلمين، إذ كانت الصفة المميزة لهم هي التميز والإبداع في أكثر من حقل من حقول العلم، فاكتسبوا صفة الموسوعية؛ نسبة لتبحرهم في هذه العلوم.

وعندما استعصى على بعض العلماء الإلمام أو التوسع في عدد من حقول المعرفة في آن واحد، ظهر ما يسمى بالتخصص في حقل واحد من حقول العلم، في محاولة للتمكن منه، وأحياناً نجد العلم الواحد قد يجزأ إلى أجزاء عديدة؛ حتى أن العالم قد يفرغ نفسه لجزء بعينه ويجهل ما عداه من أجزاء، مع ملاحظة أن التخصص يتسم

---

(١)مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـــ)، دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٨م، ص/ ٦٣٥.

(٢)دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان: محمد المالكي، منشورات وزارة الأوقاف المغربية٢٠٠٠م، ص /٢١.

بالاستقلالية؛ لأنه يستند على ما تجود به قريحة الفرد في حقل من حقول العلم ؛لذا نجد الباحث يغوص داخل أعماق الجزئية المعنية مفنداً وشارحاً ومبيناً؛ بما يوظفه من آليات قد تؤهله على استنباط بعض الحقائق المهمة.

وفي عصر العولمة، والثورة المعلوماتية، حيث اختلفت التوجهات في شتى مناحي الحياة، أصبح العالم يعاني من مشكلة تشتت المعارف، فكان لابد من صهرها في بوتقة واحدة لمواجهة أي تحديات قد تعوق مسيرة التطور؛ لذا كان لابد من الربط بين التخصصات المختلفة.

وهنالك بعض التخصصات يمكن توظيفها كآلية أو وسيلة في أكثر من حقل من حقول العلم وعلى سبيل الذكر لا الحصر يمكن استخدام الحاسوب في حقول معرفية مختلفة، ففي مجال التعليم أصبح من أهم الوسائل التعليمية، وفي مجال التعليم العالي نجد الدراسة عن بعد أو الدراسة عن طريق الشبكة المعلوماتية العالمية أو الجامعات الإلكترونية، في مجال هندسة الطيران نجد الطيار الآلي وفي مجال الطب نجد أجهزة مراقبة المؤشرات الحيوية للمرضى، وفي دنيا المال والاقتصاد الصيرفة نجد الصراف الآلي، وفي مجال الحرب هنالك الصواريخ الموجه عن بعد، وأثبت الحاسوب دوره الفعال بالنسبة لرجال الشرطة في حفظ الأمن عن طريق التعرف على المجرمين آلياً وغيرها من الاستخدامات الشرطية، لذا قلما نجد مجالاً من المجالات لا يلجأ إلى استخدام الحاسب الآلي بشكل أو آخر؛ وهكذا تم توظيف هذا الحقل في عدد من الحقول المعرفية مع العلم أن أصوله ترجع لمادة الرياضيات.

وهنالك نقطة تماس بين الدراسات البينية ودراسات المستقبل، إذ الأخيرة تتناول المستقبل في آجال زمنية أقلها خمس سنوات وأقصاها تكون في حوالي خمسن عاما.

ثانياً: فائدة الدراسات البينية وأهميتها

الدراسات البينية أصبحت من مستلزمات العصر؛ لأنها تفضي إلى علوم جديدة قد تصوغ المستقبل، وتحدد ملامحه الدقيقة. كذلك تمكن الدراسات البينية من الربط بين حقول العلم المتعددة، فلا فائدة من تعلم أي علم دون معرفة ضوابط التفكير المنطقي الذي ينطلق من الجزئيات وصولاً إلى الكليات، كذلك من الفوائد العظيمة في مضمار

الدراسات البينية أنها تساعد الباحث على الوقوف على حجم المشكلة وعندئذ يستطيع أن يحدد أطرها؛ حتى يتمكن من جمع المعلومات اللازمة التي تفيده في وضع الفرضيات المناسبة مما ييسر عليه عملية فحصها اوختبارها؛ وعندئذ تكون الحلول ناجعة؛ لأن الدراسة تمت بصورة مستفيضة ومرت بمراحل عدة؛ مما يجعلها تتسم بطابع التميز والإبداع؛ ومن الفوائد التي تترتب في مضمار الدراسات البينية تنوع الخبرات والمهارات نسبة للفروقات الفردية والتفاوت في القدرات، واللحمة التي تتم بين هذه الخبرات تؤدي إلى نوع من التوزان بين احتياجات الفرد والمجتمع وسوق العمل، ومما لا شك فيه أن ثمار العلم كثيرة ومتباينة ولا يمكن حصرها؛ ومن بين هذه الثمار العمل الذي يحقق كل ما يصبو إليه الفرد من مكاسب مادية وفوائد معنوية؛ لذا تضع الدراسات البينية نُصب عينيها مخرجات التعليم، واهتمامها يدور في فلك الكيفية لا الكمية؛ لأنها تهتم بالنوعية الجيدة بالنسبة لمخرجات التعليم؛ إذ تهدف هذه الدراسات إلى تأهيل الدراسين؛ وتزويدهم بالخبرات والمهارات اللازمة؛ حتى يتمكنوا من المنافسة في سوق العمل، وذلك من خلال دراستهم لعدد من العلوم التي تفتح أمامهم آفاق المعرفة، وبالتالي آفاق المستقبل، وحاديهم طبيعة الدراسة التي تعتمد على التواصل بين أطراف العملية التعليمية، ومحاورها المختلفة، وما يترتب على ذلك من المنافسة وصولاً إلى مرحلة التفكير الإبداعي فضلاً عن اكتساب مهارتي المبادرة والمبادأة، وعندئذ يكون التميز آخر المطاف، أما فيما يخص خدمة المجتمع فهي رأس الرمح؛ بل الهدف السامي الذي تسعى لبلوغه كل مؤسسات التعليم، وخاصة مؤسسات التعليم العالي، فالدراسات البينية تسعى لتحقيق الرفاهية للمجتمع؛ وذلك من خلال الارتقاء بالبحوث العلمية يقيناً منها أن كثير من المشاكل أو القضايا التي يئن من حملها المجتمع لا يمكن قطع دابرها إلا بتضافر الجهود على مختلف الأصعدة والأطر وخاصة على مستوى الدراسات الجادة، وكيف ينهض مجتمع تقاعست فيه الهمم وعقمت فيه العقول. وعجز عن انتاج المعارف، وبالتالي تقطعت به الأسباب، كذلك من إيجابيات الدراسات البينية إنها تقوم بتوظيف المعرفة توظيفاً إيجابياً؛ لأن الأهمية

الحقيقة للمعرفة لا تكمن في ذاتها فقط؛ بل في المهارات التي تنتجها. والدراسات البينية محورها يدور في فلك الماضي والحاضر أضف إلىٰ ذلك فهي تستشرف المستقبل.

ثالثاً: التحديات والصعوبات التي تعترض مسيرة الدراسات البينية

من أكبر التحديات التي تعترض طريق الدراسات البينية طبيعتها التي تحتاج إلى العمل بروح الفريق الواحد، حيث يكتسب الطالب مهارات عديدة منها الريادة والقيادة والمبادأة، فضلاً عن مهارة طرح القضايا، وما يصاحبها من حوار ونقاش وصولاً إلى إيجاد الحلول العملية بطريقة علمية لأي إشكالية. ولا يغيب عن البال أن عملية اكتساب المهارات هي عملية تراكمية، تبدأ منذ الصغر؛ لذا لابد من مراجعة هيكل العملية التعليمة من مرحلة التعليم ما قبل المدرسي أو رياض الأطفال، والنظر إليها بطريقة تكاملية حتى تأتي أوكلها في مرحلة التعليم الجامعي والدراسات العليا.

الدراسات البينية يميزها طابع الشمولية؛ لذا قد لا تحظى بالقبول من قبل بعض الاكاديميين، خاصة أصحاب التخصصات الدقيقة؛ لأن التخصص الدقيق يتسم بالاستقلالية والتقصي، ونجد الباحث يتعمق في موضوع تخصصه، ولكنه قد يحصر نفسه في دائرة ضيقة أو مغلقة لا يستطيع الخروج منها، ولا يغيب عن البال قصور التدريب أو انعدامه في هذا الحقل.

الدراسات البينية وإن تجذرت أصولها في أعماق التاريخ؛ لكنها لا تزال حتى الآن في بداياتها، وهي القضية القديمة الجديدة، وتحتاج إلى تتضافر الجهود حتى تستطيع أن تثبت قدراتها في مجال البحث العلمي، ومن ثم في سوق العمل. مع ملاحظة المنافسة الحادة في الأسواق العالمية لعدد من الأسباب والعوامل منها التذبذب في الاقتصاد العالمي.

في الدراسات البينية تتعدد حقول المعرفة وتتنوع، كما تعدد آليات التعليم وتقنياته؛ لذا لابد أن تواجه المؤسسات التعليمية هذا التحدي وتبدأ في ترقية خططها وبرامجها التعليمية والتدريبية؛ في محاولة جادة لربط المناهج بالتعليمية باحتياجات سوق العمل حتى تواكب متطلبات سوق العمل وتحدياته، حتى تستطيع ردم الفجوات بين التخصصات الدقيقة المختلفة مما يبشر بمخرجات طيبة أو عالية الجودة.

المبحث الثاني

الدراسات البينية في حقول العلوم

أولاً ــ التكامل بين الأدب وعلم التفسير

ثانياً ــ الدراسات البينية في حقلي الأدب والتاريخ

ثالثاً ــ الدراسات البينية في حقلي الأدب والجغرافيا

لعله من نافلة القول أن أشير إلى أن الشعر كان مرآة حياة العرب في العصر الجاهلي؛ إذ حوى كل مآثرهم ومفاخرهم وأيامهم ووقائعهم وعلومهم ومعارفهم ونسكهم وعباداتهم، فلم يترك الشعر شاردة ولا واردة في حياتهم الدينية والاجتماعية، والسياسية والفكرية والعقلية وفي كل شأن من شؤون حياتهم إلا سجله. ومن أراد أن يتعرف على أي جانب من جوانب حياة العرب فما عليه أن يحيط علماً بما جادت به القريحة العربية يومئذ.

" كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"(١) لذا احتل الشعر مكانة خاصة في نفوس منشديه وجلهم من الفقهاء والفصحاء والبلغاء وجهابذة العلم،(٢) كما شد قلوب سامعيه وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان؛ قال عمرو بن العلاء : " كان الشاعر في الجاهلية يُقَدَّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيِّد مآثرهم ويفخِّم شأنهم "(٣) ومنذ أن قصد الرجل القصيد، دقت مشاعره ورقت؛ لأن الشعر من العلوم التي ترتقي بالنفس البشرية وتسمو بها، فضلا عن إعداد شخصية الفرد وتهذيب سلوكه بصفة عامة، وصقل حسه الفني، وحدد الزبير بن بكار دور الشعر في تربية النفس وتهذيبها بقوله:" سمعت العمري يقول: رووا أولادكم الشعر؛ فإنه يحل عقدة اللسان، ويشجع قلب

(١)طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١ هـ) تحقيق محمود شاكر، القاهرة ،د.ت، ٢٤/١.

(٢)الأئمة الأربعة رضي الله عنه كانوا فقهاء بلا منازع، وكانوا شعراء وأشعرهم علي بن أبي طالب، ومن الفقهاء عروة بن أذينة، وأنس بن مالك، الشافعي، وابن حنبل، وابن القيم، و ابن تيمية، و ابن حزم ،و غيرهم كثر.

(٣)البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة ١٩٩٨م (١٦/١

الجبان، ويطلق يد البخيل، ويحض على الخلق الجميل"(١) ولله در علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو القائل في بائيته:

كُن ابنَ مَن شئتَ واكتَسِب أدَبا يُغنيكَ مَحمُودُهُ عَنِ النَسَبِ
فَلَيسَ يُغني الحَسيبُ نِسبَتَهُ بِلا لِسانٍ لَهُ وَلا أدَبِ(٢)

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : (خير صناعات العرب أبيات يقدِّمها الرجلُ بين يدَي حاجته ، يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم) (٣)وقسم جرجي زيدان آداب العرب في الجاهلية إلى علوم أصلية اقتضتها اللغة العربية وأساليبها وقرائح أهلها ونسميها العلوم العربية، وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها وأكثرها دخيل على هذه الصورة.

قدم المبرد (٢٨٥هـ) في مقدمة كتابه الكامل تعريفاً للأدب، بشقيه الشعر والنثر بعبارات موجزة بسيطة في مقدمة كتابه البيان والتبيين:" هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الأدب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة..."(٤) ،بينما عرف الحسن بن سهل(ت ٢٣٦هـ) الأدب بقوله:" الآداب عشرة، فثلاثة شهرجانية، وثلاثة أنوشروانية، وثلاثة عربية، وواحدة أربت عليهن، فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج، وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية ، وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس، وأما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس"(٥)

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن علي بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢م، ١/ ٣٠.

(٢)ديوان علي بن أبي طالب: جمع عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى ١٩٨٨م،ص/ ١٦.

(٣)البيان والتبيين: الجاحظ، ج١ / ٢٦٤.

(٤)كتاب الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، دار إحياء التراث العربي لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ج١/ ٢.

(٥)زهر الآداب:أبو اسحاق بن إبراهيم الحصري (٤٥٣ هـ) تحقيق زكي مبارك، دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢م،ج١/ ١٤٠ وقوله الشهرجانية: نسبة إلى الشهاريج أو الشهارجة وهو أشراف الفرس ، والأنوشروانية نسبة إلى كسرى أنو شروان.

وأشار ابن خلدون في مقدمته في معرض تعريفه للأدب بقوله:" الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها و الأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط و هي القرآن و الحديث. إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم و ترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها"(١)

وعرف التويجري العلم بقوله" منهج يسعى للوصول إلى مجموعة مترابطة من الحقائق الثابتة المصنفة والقوانين العامة(٢)هذه المجموعة المترابطة بين الحقائق الثابتة تعني التكامل بين هذه العلوم والمعارف؛ لكن لابد من المنهجية في طلب العلم ؛ وحتى تستقر المعارف في ذهن الدارس، وترسخ؛ لابد من مراعاة التسلسل والتدرج في طلب العلم، مثلاً أن يبدأ بالكتب المختصرة، ثم المتوسط، ثم المطوّلة، هذا التدرج والتسلسل في طلب العلم هو ما يحتاجه الباحث في مجال الدراسات البينية، فلابد من مراعاة تدريب الطالب من البدايات الأولى؛ حتى يستطيع اقتحام هذا الميدان وقد أعد العدة التامة التي تمكنه من كيفية الربط بين حقول العلم المختلفة وصولاً إلى الغاية المنشودة، وهذا يوضح لنا أهمية التمييز بين التأسيس والاطلاع، فالاطلاع هو الذي يقود إلى الموسوعية التي تعنى البينية.

ونلخص إلى أن الفصل بين حقول المعرفة كادت أن تتلاشى أو تصبح أقل حدة؛ مما قد مهد الطريق لظهور الدراسات البينية، وعلى سبيل المثال لابد من توظيف الأدب لمعرفة العديد من الأحداث التاريخية والقضايا السياسة والأحوال الاجتماعية، فإن الترابط أو الدمج بين هذه الحقول المختلفة أصبح مطلباً ضرورياً بل ملحاً في أغلب الأحيان؛ لأنه قد يستعصي على الدارس فهم موضوع من الموضوعات

(١)مقدمة ابن خلدون، ص/ ٥٥٣.

(٢)عبد العزيز عثمان التويجري ، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية الثقافة والعلوم (ايسكو) (esco) على الموقع: http://altareekh.com/doc/article.ph

في حقل من حقول العلم بمعزل عن الحقول الأخرى، فتجزئة العلوم أصبحت غير مجدية إلى حد كبير.

وعلى الرغم من الغموض أو الضبابية التي ما زالت تحيط بالدراسات البينية؛ لكنها أصبحت أمراً واقعاً لا يمكن تجاهله أو إغفاله على مستوى البحوث العلمية؛ النظرية منها أو التطبيقية، واستطاعت أن تشق طريقها بين صفوف بعض الباحثين والمشرفين، وأفسحت لنفسها المجال في المناهج الدراسية الحديثة؛ بل أصبحت من الآليات والتقنيات المهمة في صنع العملية التعليمية؛ لأنها تربط بين أكثر من تخصص، أو بين حقلين من حقول المعرفة؛ الأمر الذي يحتاج إلى تكوين فريق عمل قوي ومتكامل يعمل من أجل تحقيق غاياتها، مع ملاحظة أن هنالك بعض التخصصات قابلة للتكامل مع أكثر من حقل من حقول المعرفة، فمحور الدراسات البينية يدور في فلك القضايا الفكرية المنهجية والممارسة العملية في ميادين البحوث.

ووضح مهدي كلشني:" طبيعة رؤية الإسلام إلى العلم، وكيف أن هذه الرؤية لا تفصل بين الدين والعلم، وبين الأخلاق والعلم، وتربط بين مختلف العلوم بطريقة تكاملية تستند إلى رؤية كونية توحيدية للعالم"(١) كذلك لا يغيب عن البال أن بعض حقول المعرفة تتطلب التداخل مع حقول أخرى؛ حيث يتم التكامل بينهما أو التبادل أو الترابط وهذا الانفتاح يؤدي إلى تلاقح الأفكار، وتصبح أكثر قدرة على مواجهة أي تحديات قد تفرض نفسها، أو مشاكل تعترض طريقها، فضلاً عن ذلك يمكن استثمار القرارات والنتائج التي تخلص إليها لأنها وليدة دراسة محكمة تجانست فيها الآراء.

واليوم أصبحت الدراسات البينية من الأساسيات لسوق العمل؛ إذاً لابد من تشجيع وتحفيز الدراسين والباحثين على هذا النوع من الدراسات، كذلك لابد من ترسيخ مفهوم ثقافة الدراسات البينية، كذلك لابد من نشر ثقافة الإشراف المشترك وتشجيعها لما يترتب عليها من فوائد جمة؛ وتلاقح الأفكار وتكاملها يفتح الباب على مصراعيه للتميز والإبداع؛ بل يقود إلى آفاق أرحب لدراسات تتسم بالثراء المعرفي والفعالية؛ لذا يمكن توظيفها حتى تستفيد منها البشرية جمعاء.

(١)ثقافتنا للدراسات والبحوث(مجلة) العدد ٦ العدد الثاني والعشرون ٢٠١٠م.

والدراسات البينية تقوم بجهد كبير في محاولة جادة لردم الفجوات بين العلوم؛ حتى تتداخل وتترابط فيما بينها، وقد تزيل الجفوة بين بعض حقول العلم المختلفة، وقد تفتح الباب على مصراعيه لحقول معرفية جديدة تستطيع معالجة القضايا الراهنة ورسم الملامح لمستقبل واعد.

واستثمار الأدب في حقول العلم والمعرفة، قديم قدم الأدب، وقد أتى أُكله في حقول كثيرة وأثمر وأينع، لكن مازال الروض أُنفاً والحقل بكراً، ولابد من السعي الدؤوب حتى يتم توظيفه بطريقة فاعلة وإيجابية، ولعله من نافلة القول الإشارة إلى أن الأدب نال هذه الحظوة بين علوم اللغة العربية؛ لأنه أهم فرع من فروع اللغة العربية، بل هو أصل اللغة العربية؛ إذ أن كل علوم اللغة التي نشأت (من نحو وصرف وبلاغة وعلم لغة وغيرها)[١] كانت على ضوء ما أُستجد من أحداث على اللغة العربية فالنحو والصرف والبلاغة واللسانيات وغيرها من علوم اللغة، وما وضعت إلا بعدما فتحت الأمصار ودخل الأعاجم في الدين الإسلامي وخوفاً من اللحن وتيسيراً لهذه الألسن الجديدة التي من المفترض أن تتعبد بكتاب الله تعالى، وتقرأ القرآن باللغة التي نزل بها حتى تحس بحلاوته وطلاوته، ولكل هذه الأسباب وغيرها تم تأليف علوم اللغة المختلفة. ويشير إبراهيم رفيدة إلى أن:" علم أصول النحو من وحي أصول الفقه ومقيس عليه ومستمد تنظيمه وبناؤه منه "[٢] وكان السبق في تأسيس أصول النحو لمحمد بن الحسن الشيباني الذي أخذ عنه أبو الفتح بن جني عليه يمكن القول أن النشأة الأولى لعلوم اللغة العربية ارتبطت بالقرآن الكريم، وهكذا كان تعلم القرآن الكريم وإتقانه والاستشهاد به شرطٌ أوّلي لطلب العلوم الأخرى من فقه وتفسير وحديث ونحو وبلاغة وغيرها من العلوم.

وسوف يبسط هذا المبحث الشرح في الدراسات البينية التي تمت بين الأدب

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن علي بن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢م، ج١/ ٣٠.

(٢)النحو وكتب التفسير : إبراهيم عبدالله رفيدة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. طرابلس الجماهيرية العربية الليبية الطبعة الأولى ١٩٨٢م،ج١/٧٨.

والعلوم المختلفة(علم التفسير وعلم الجغرافيا وعلم التاريخ) التي تداخلت وتكاملت معه، وقد قدمت علم التفسير لشرفه على بقية العلوم التي نالت الحظوة في مضمار الدراسات البينية.

أولاً: التكامل بين الأدب وعلم التفسير

من خلال البحث والتنقيب عن معنى كلمة التفسير في اللغة لاحظت كثرة التعاريف واختلافها ومن هذه التعاريف ما ذكره ابن منظور في لسانه:" هي من الفَسْرُ " بمعنى البيان والكشف ، وفسر الشيء يفسِره بالكسر و يفسره بالضم فسرا و فسره وفسَّرَه أبانه ووضحه، وفسر القول إذا كشف المراد عن اللفظ المشكل"[١] قال تعالى: في سورة الفرقان: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[٢]

والتفسير في الاصطلاح كذلك له تعاريف متعددة منها على سبيل الذكر لا الحصر تعريف ابن جُزَيٍّ قال: " معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه ، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه ،أو إشارته، أو نحوهما[٣]بينما عرفه أبو حيان التوحيدي(٧٤٥هـــ) علم التفسير بقوله:" التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[٤] و بدأ تفسير القرآن الكريم وشرحه بنزول الوحي على المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكان كلما استعصى على الصحابة فهم مراد الله تعالى من كلامه العظيم كان معلم البشرية الأول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقوم بالتفسير والشرح والتوضيح، وفي هذا الشأن يقول الإمام الشافعي:" جميع السنة شرح للقرآن"[٥] والسنة

---

(١)لسان العرب: ابن منظور، مادة فسر.

(٢)سورة الفرقان آية/ ٣٣.

(٣)التسهيل في علوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزي(٧٤١هـــ)، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م، ج١/ ٦.

(٤)البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي(٤١٤هـــ)، دار الكتاب الاسلامي القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـــ، ص/ ١٣-١٤.

(٥)الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي(٩١١هـــ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، تعليق مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ٢٠٠٨م،ص / ٦٦١.

النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، كذلك هي المصدر الثاني للغة العربية، وقامت بدور عظيم إذ شرحت وفصلت ووضحت وبينت وفسرت كل ما كان مجملاً في القرآن الكريم، أما علم التفسير فقد نشأ على ضوء القرآن، وتكامل مع علوم كثيرة منها علوم العربية.(١)

ويشير إبراهيم رفيدة إلى التحليل الفني للقرآن الكريم الذي قام به سيبويه في قوله:" ومعلوم إن الكتاب كتاب نحو يتناول نص القرآن الكريم باعتباره الدليل الأول من أدلة النحو، ولكنا لا نعدم فيه تحليلا فنياً لمعاني بعض الآيات القرآنية، مما يعتبر مقدمة، ومن المحاولات الأولى لنشأة التفسير الفني، فهو حافل بآراء السابقين من شيوخه، وبعض العلماء وغيرهم حول توجيه كثير من الآيات القرآنية ووجوه إعرابها أو القراءات فيها؛ مما يجعل لهذا السفر الضخم قيمة أكبر في توجيه العلماء نحو التفسير الفني مع التفسير الأثري الذي كان هو السائد في عصر سيبويه "(٢)

وهكذا وضع المصطفى – صلى الله عليه وسلم – حجر الأساس في علم التفسير، حتى يؤدي مهمته على أكمل وجه، ولعله من نافلة القول أن أشير إلى أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للغة العربية، ورفد اللغة العربية معنوياً؛ حيث استمدت مفرداتها السمو والرفعة، ونالت شرفاً عظيماً لم تنله أي مفردة في أي لغة من اللغات، عندما اختارها الله تعالى وعاء لكلامه العظيم، كما رفدها مادياً ؛إذ أمدها بذخيرة هائلة من المفردات، وكذلك كان الحال مع السنة النبوية الشريفة، ووقف عرب الجاهلية بكل ما أوتوا من فصاحة وبلاغة وحسن بيان، وقفوا متأملين لكلام الله تعالى فسحرتهم المفردة القرآنية وأدهشهم أسلوب القرآن الكريم. لقد هذب القران الكريم المفردة العربية، وسما بحسها الفني وجعلها لغة ذات دين سماوي، ونفى عنها صفة الحوشية، وأبعد عنها المفردة الغريبة، كما كساها بطابع العالمية؛ إذ خرجت من حيز

(١)وذكر جلال الدين السيوطي على أن تبيين ما أبهم من الآي لا يتأتى إلا لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وذكر من ذلك خمسة عشر علماً بما في ذلك علم الموهبة، وكل ما ذكر هي مما يتوقف عليه فهم المعنى القرآني وبيان المراد (ينظر الإتقان في علوم القرآن، ١٨/٤.

(٢)النحو و كتب التفسير: إبراهيم عبد الله رفيدة، ص / ١٠١.

المحلية الضيق إلى آفاق جديدة، وتفاعلت هذه المفردة مع حضارات عديدة وثقافات متباينة، وأثبتت فاعليتها. وعلى المستوى المحلي تفاعل معها عرب الجاهلية الذين منَّ الله تعالى عليهم بنعمة الإسلام، واعانتهم سليقتهم اللغوية على فهم معاني القرآن الكريم، وكانوا إذا أشكل عليهم فهم آية عملوا بنصيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ لفت نظرهم إلى ديوان شعرهم حتى يقفوا على ما استعصي عليهم أو أشكل عليهم من فهم لآيات الذكر الحكيم، وهكذا حاز عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصب السبق في التماس معاني القرآن الكريم في الشعر؛ وتشير الروايات إلى أنه سئل في ذات مرة وهو على المنبر عن قوله تعالى (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) فقال له رجل من هذيل التخوف عندنا التنقص ثم أنشده:

تخوّف الرجل منها تامكا قَردا كما تخوف عود النَّبْعَة السَّفَن

فقال عمر: أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإنه فيه تفسير كتابكم" (١)، وكهذا كان عمر بن الخطاب أول من وضع اللبنات في مجال الدراسات البينية؛ إذا وظف الشعر في تفسير القرآن الكريم، كذلك وظف رضي الله عنه ـــ الشعر في تفسير قواعد الإسلام والسنة النبوية الشريفة، وفيما يرويه أبو عمر بن العلاء قال:" أسلم إعرابي في أيام عمر بن الخطاب، فجعل عمر يعلمه الصلاة، فيقول صل الظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً ، والعشاء أربعاً ، والصبح ركعتين ، فلا يحفظ، ويعيد عليه فلا يحفظ بل يجعل الأربع ثلاثاً والثلاث أربعاً، فضجر عمر فقال : إن الإعراب أحفظ شيء للشعر فقل :

إن الصلاةَ أربعٌ وأربعٌ ثُم ثَلاثٌ بعدهن أربعٌ

ثم صلاةُ الفجرِ لا تضيعُ

(١)الموافقات: أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت ٧٩٠هـ)ضبط أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار بن عفان الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ج٢ /٣٢١. والتامك القرد هو السنام، أما السفن فهو المبرد. ومعنى البيت أن القتب أو الرحل من كثرة السفر قد برد ظهر الناقة كما يبرد المبرد الحديد، لذا أصبح سنامها مقوساً.

أحفظت؟ قال: نعم قال : ألحق بأهلك "[1]

وهكذا نجد أن أمير المؤمنين طوع لغة القوافي حتى ييسر لهذا الإعرابي فهم ما استعصى عليه فهمه من أمور الدين الحنيف، ومن جانب آخر استفاد علماء الإسلام من هذا الموقف وساروا على نهج عمر بن الخطاب وبدأوا ينظمون المتون لضبط القواعد حتى يسهل حفظها.

ولقد اشترط علماء الإسلام على من يريد أن ينال شرف تفسير القرآن الكريم أن يكون ملماً بالغة العربية، عالماً بأساليبها وعلومها؛ فضلاً عن علمه بعلوم القرآن، وأشار أحمد فارس(ت ٣٩٥ هـ) في كتابه الصاحبي:" كان العرب في جاهليتهم على إرث من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول...."[2] والمتأمل لهذا النص يستخلص الطفرة الحضارية التي أحدثها الإسلام في حياة الرجل العربي، فقد نقله نقلة حضارية فتحت أمامه آفاق المعارف المختلفة، مع ملاحظة التغير اللغوي الذي طرأ على المفردة كماً وكيفاً.

لقد كان لكتاب سيبويه الفضل العظيم على النحويين وعلماء اللغة لأنه: " فتح لهم باب النظر (لغوياً) في كتاب الله عز وجل، من حيث النحو والإعراب والمعاني والاحتجاج وهي الميادين التي توسع فيها النحويون بعده "[3] لذا كان المفسرون من علماء اللغة يحرصون على حفظ الشعر وقراءة الدواوين ودراستها حتى ذكر الواحدي[4]إنه درس اللغة ودواوين الشعراء على شيخه العروضي"[1] وقد توفرت هذه

(١)المنتقى من أخبار الأصمعي: ضياء الدين المقدسي، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ، ص/ ٨

(٢)الصاحبي: أحمد فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر طبع بالقاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص / ٧٨.

(٣)النحو وكتب التفسير : إبراهيم رفيدة، ص/ ٩.

(٤)هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن متوية الواحدي النيسابوري الشافعي(ت ٤٨٦هـ)

الشروط في حبر الأمة عبد الله بن عباس الذي تتلمذ على يد علي بن أبي طالب، وهو القائل:" ما أخذت من تفسير القرآن عن علي بن أبي طالب"[2]

ونال عبد الله بن عباس هذه الدرجة الرفيعة في التفسير بفضل بركة دعاء الرسول – صلى الله عليه وسلم –له:" اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ "[3] كذلك أخذ بكل الأسباب حتى يتمكن من هذا العلم الجليل وهو تفسير القرآن ومن هذه الأسباب مراجعته للقرآن، إذ كان يلجأ إلى القرآن الكريم لفهم معاني القرآن، وكان مرجعه الثاني ما ورد في أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – من بيان لمعاني القرآن، كذلك كان يعتمد على النظر والاجتهاد وما يفتح الله تتعالى به عليه في هذا المجال، كما اعتمد على معرفة أسباب النزول، ووقف على المأثور من التفسير المروي، بعد التأكد من صحة الأثر، كذلك من الآليات التي اعتمد عليها ابن عباس في تفسيره للقرآن اضطلاعه بالأدب الرفيع؛ مما يدل على تمكنه من أسباب الفصاحة والبلاغة وعلمه بالشعر؛ فقد كان يستشهد بالشعر في شرحه وتفسيره للقرآن الكريم؛ وإلى هذا المعنى أشار عكرمة :"ما سمعت ابن عباس فسر آية من كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتًا من الشعر، وكان يقول: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب "[4] لقد استثمر حبر الأمة اضطلاعه باللغة العربية في تفسير القرآن الكريم كذلك وظف حسه الأدبي وحبه للشعر الرصين في تفسير ما استعصى عليه من القرآن، فقد كان مولعاً بالشعر وينشده، ويستنشده كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني" بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق (رأس الأزارقة من الخوارج)

(١)الشاهد الشعري في تفسير القرآن عبدالرحمن الشهري، دار المنهاج بالرياض الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ص/ ٢٠٩.

(٢)التفسير و المفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبه الطبعة السابعة ٢٠٠٠م،ج١/ ٨٩.

(٣)صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، كتاب بدئ الوحي، حديث رقم: ١٤٣.

(٤)شرح ديوان حماسة أبي تمام: تحقيق محمد حسن نغشة، دار الغرب الإسلامي ١٩٩١م. ١/٣ .

وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين[1]حتى دخل وجلس فأقبل عليه ابن عباس فقال: أنشدنا، فأنشده:

أمِـن آلِ نُعـمٍ أنـتَ غـادٍ فَمُبكِـرُ غَـداةَ غَـدٍ أم رائِـحٌ فَمُهَجِّـرُ

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: اللّه يا ابن عباس نأتي إليك من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك:

رَأَت رَجُلاً أَمّا إذا الشمسُ عارَضَـت فَيَـضحى وَأَمّـا بِالعَـشِيِّ فَيَخـسَرُ

فقال: ليس هكذا قال، قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رَأَت رَجُلاً أَمّـا إذا الشَمـسُعارَضَت فَيَضحى وَأَمّـا بِالعَـشِيِّ فَيَخـصَرُ

كذلك انتهج ابن عباس نهج التحقيق؛ والتحقيق في غاية الأهمية لمن أراد أن يتقصى الحقائق العلمية؛ إذ كان يبحث عن لغات القبائل ويترصد أخبارهم لمعرفة الغريب من ألفاظهم الواقعة في القرآن الكريم، وإذا أشكل عليه فهم كلمة يتمهل حتى يسمع قول الإعراب ليعثر على معناها، وروى ابن يزيد قال سمعت ابن عباس وهو يسأل عن قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] قال: ما هاهنا من هذيل[3]أحد؟ فقال رجل: نعم، قال: ما تعدون الحرجة فيكم؟ قال: الشيء الضيق.

ومما سبق نخلص إلى أن عبد الله بن عباس سخر كل إمكانياته حتى يتمكن من هذا العلم الشريف، كذلك وظف ملكاته الأدبية في تفسير القرآن الكريم، وعلم التفسير من العلوم التي نشأت على ضوء القرآن الكريم وتكامل مع عدد من علوم العربية منها الأدب، وهكذا خدم الأدب هذا العلم الشريف الجليل، ونال علم التفسير هذا الشرف

(١)ثوب ممصر: مصبوغ باللون الاحمر، وفيه شيء من صفرة.

(٢)سورة الحج آية / ٧٨

(٣)عند ما رفع المصحف إلى عثمان بن عفان و رأى فيه شيئاً من اللحن ــ قال: لو كان المملي من هذيل، و الكاتب من ثقيف، لم يقع فيه هذا " وهذا شاهد على ثقافة هذيل وعلمها باللغة (ينظر مصاحف السجستاني، ص/ ٣٢ ــ ٣٣)

العظيم؛ لأن مصدره أعظم كتاب، كذلك امتد هذا الشرف إلى دنيا القوافي؛ لأن الشعر أدلى بدلوه مع الدلاء وفسرت نصوصه ما أشكل على المفسرين من القرآن الكريم ، ومن آثار هذا التداخل انتقال كثير من المفاهيم من حقولها المعرفية الأصلية إلى حقول معرفية أخرى وليس أدل في استمداد القران الكريم من العلوم الأخرى من قول ابن عاشور :"فأما استمداده من بعض العلوم الإسلامية، فذلك استمداد لقصد تفصيل التفسير على وجه أتم من الإجمال، وهو أصل لما استمد منه" [1]وكان من ثمار التكامل الذي تم بين علم التفسير وعلم الأدب ظهور بعض علوم التفسير الحديثة[2] منها على سبيل الذكر لا الحصر:

التفسير الأدبي للقرآن الكريم

التفسير الأدبي للقرآن الكريم من العلوم الحديثة، وأرخت لها عائشة عبد الرحمن بقولها:" وشغلنا نحن أصحاب الدرس الأدبي أو شغلت الجمهرة منا بالمعلقات والنقائض والمفضليات ومشهور الخمريات، والحماسيات، والمراثي، والمدائح والغزليات، ومأثور الرسائل، والأمالي والمقامات، شغلنا بهذا ومثله عن القرآن الكريم؛ حتى جاء... أمين الخولي فخرج به عن ذلك النمط التقليدي وتناوله نصاً لغوياً بيانياً على منهج أصله وتلقاه عنه تلامذته"[3] بينما عرف محمد حسين الذهبي مفهوم التفسير الأدبي للقرآن

(١)استمداد العلم يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها ذلك العلم عند مدونيه لتكون عونا لهم على اتقان تدوين ذلك العلم(ينظر تفسير التحرير والتنوير المقدمة الثانية ص/ ١٨)

(٢) وهنالك التفسير الموضوعي وعرفه عدد من الباحثين منهم عبد الستار فتح الله بقوله:" جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد، ووضعها تحت عنوان واحد والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعاً واحداً مستخرجاً من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة" ينظر كتابه المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار الطباعة مصر، ص / ٣٣.بينما عرفه مصطفى مسلم بقوله:" علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر" ينظر كتابه(مباحث التفسير الموضوعي، دار القلم دمشق ص/ ١٦) وهو" يلبي حاجة الناس المعاصرة، وحاجة المناهج والمنهجيات العلمية الحديثة في التعامل مع الموضوعات ودراستها والخروج بالنتائج التكاملية في حقلها وميدانها مجمعة غير مبعثرة"(ينظر مجلة البيان عدد٧٧ مقال ٣ التفسير الموضوعي عبد الحميد غانم ص/ ٢)

(٣)التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعارف مصر مقدمة الطبعة الأولى ١٩٦٢م، ص/ ١٤.

بقوله:" هو معالجةُ النصوص القرآنيّة معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدّقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيّقٍ أخّاذ." [1]ومن نماذج التفسير الأدبي للقرآن الكريم تفسير سيد قطب لسورة العاديات:" يجري سياق هذه السورة في لمساتٍ سريعة عنيفة مثيرة، ينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزًا وركضًا ووثبًا، في خفة وسرعة وانطلاق، حتى ينتهي إلى آخر فقرة فيها فيستقر عندها اللفظ والظل والموضوع والإيقاع كما يصل الراكض إلى نهاية المطاف. وتبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة، القادحة للشرر بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للنقع وهو الغبار، الداخلة في وسط العدو فجأة تأخذه على غرة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار. يليه مشهد في النفس من الكنود والجحود والأثرة والشح الشديد، ثم يعقبه مشهد لبعثرة القبور وتحصيل ما في الصدور. وفي الختام ينتهي النقع المثار، وينتهي الكنود والشح، وتنتهي البعثرة والجمع إلى نهايتها جميعاً إلى الله. فتستقر هناك: (إنّ ربّهم بهم يومئذٍ لخبير) ... إن السورة مشوار واحد لاهث صاخب ثائر، حتى ينتهي إلى هذا القرار معنى ولفظا وإيقاعا، على طريقة القرآن "[2]

ثانياً: الدراسات البينية في حقلي الأدب والتاريخ

الدراسة البينية بين الأدب والتاريخ منطلقها وشائج قربي وفروقات بين الحقلين، ومن الناحية العلمية نجد حقل التاريخ يرتكز على الحقائق الموضوعية؛ إذ التاريخ يسجل الأحداث في قوالب معرفية بلغة واقعية تعتمد على تحليل الأشخاص والأحداث، مع دراسة الأسباب التي تشير إلى وقع الحدث وما يترتب على ذلك من نتائج، بينما نجد الأدب أحياناً يصور الواقع؛ وكثيراً ما تجود قريحة الشاعر بصور لا تمت للواقع بصلة؛ لأن عنصر الخيال من أهم آليات الشعر ؛ كذلك نجد الشعر يفسح المجال للتعبيرات المجازية.

وبناءاً على ما سبق نستخلص أن المؤرخ يحلل ويستنتج؛ بينما يرسم الشاعر بقوافيه لوحات فنية تأتي آية في الجمال؛ لكن دون الالتفات إلى الأسباب التي أدت إلى

(١)ينظر كتابه التفسير والمفسرون: ج ٢ /٥٢٣.

(٢)في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة الثانية، بيروت، دار الشروق ١٩٧٩م، ج ٦/٩٥٧.

وقوع الحدث أو ما ترتب عليه من نتائج، إذاً ما بين الأسباب والنتائج هنالك حلقة وسطية وهذه الحقلة الوسطية هي إلتي تشد انتباه الشاعر وتكون تربة خصبة لنصه الشعري؛ وعندئذ يتم التكامل والتداخل بين الأدب والتاريخ، وهكذا يتهيأ المناخ لعدد من الدراسات البينية بين هذين الحقلين من حقول المعرفة. ولا يغيب عن البال أن الشعر الجاهلي كان سجلاً ضخماً، وثق لحياة العرب في العصر الجاهلي، وأشار الجاحظ: (قال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس)[1] و وافقه أبو هلال العسكري على هذا الرأي :" لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارهم فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها"[2] وكانت غالبية النصوص الأدبية بمثابة المراجع أو المصادر بالنسبة للمؤرخين، وأشار جواد العلي إلى فضل الشعر الجاهلي بقوله:" إليه يعود فضل بقاء كثير من الأخبار المتعلقة بالجاهلية، فلولاه لم نعرف من أمرها شيئاً .ولست مبالغا إذا قلت إن كثيرا من الأخبار قد ماتت لموت الشعر الذي قيل في مناسباتها، وان أخباراً خلقت خلقاً، لأن واضع الشعر أو راويه اضطر إلى ذكر المناسبة التي قيل فيها، فعمد إلى الخلق والوضع .وهو من ثم صار سبباً في تخليد الأخبار "[3]

وفي الجانب المقابل كان الشاعر يستثمر الحقائق التاريخية، ويستمد منها بعض الخطوط الدقيقة ليزين بها لوحاته الشعرية، ويلفت جواد العلي أنظار المؤرخين إلى كتب الأدب بقوله:" وفي كتب الأدب ثروة تاريخية قيمة، مبثوثة في صفحاتها، لا تجد لها مثيلاً ولا مكاناً في كثير من الأحايين في كتب أهل التاريخ عن التاريخ الجاهلي، حتى أني لأستطيع أن أقول إن ما أورده رجال الأدب عنه هو أضعاف أضعاف ما رواه المؤرخون عن ذلك التاريخ، وأن ما جاءت به كتب الأدب عن ملوك الحيرة وعن الغساسنة وعن ملوك كندة وعن أخبار القبائل العربية، هو أكثر بكثير مما جاءت به كتب التأريخ، بل هو أحسن منها عرضاً وصفاءً، وأكثر منها دقة ، ويدل عرضه بأسلوبه الأدبي المعروف على

(١)البيان والتبيين: لجاحظ ج١ / ١٧٠.

(٢)كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٩م.

(٣)المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد العلي، دار الساقي الطبعة الرابعة ٢٠٠١م، ص/ ٢٦.

أنه مستمد من موار عربية خالصة، وقد أخذ من أفواه شهود عيان، شهدوا ما تحدثوا عنه . وقد أفادنا كثيراً في تدوين تاريخ الجاهلية الملاصقة للإسلام"(١)

كذلك وقف بعض كتاب العصر الحديث عند التاريخ الإسلامي وكتبوا روايات وقصص استمدت أصولها من القصص القرآنية،(٢) وكان الهدف منها العظة والعبرة، كما كتبوا الكتاب بعض القصص والروايات التاريخية التي حكت تاريخ السيرة النبوية العطرة ومسيرة الدعوة الإسلامية في أسلوب قصصي مشوق؛ يطرد شبح الملل والسأم من نفس القارئ، وعلى سبيل الذكر لا الحصر روايات تاريخ الإسلام التي قام بتأليفها جرجي زيدان(٣)وامتد هذا الإبداع إلى المسرح ويبرز في هذا المضمار علي أحمد باكثير رائد المسرح الإسلامي(١٩١٠ ــ١٩٦٩م) (٤)ومن مظاهر التكامل بين الأدب والتاريخ مسرحية عنترة التي استلهما أحمد شوقي(١٩٣٢م) من تاريخ العصر

(١)المرجع السابق: ص/ ٢٦.

(٢)القصص التي وردت في القرآن الكريم كثيرة وكان الغرض منها العظة والعبرة (ينظر الاتقان في علوم القرآن ص / ٦٧٧.

(٣)هي سلسلة من الروايات التاريخية تتناول مراحل التاريخ الإسلامي منذ بدايته حتي العصر الحديث. ركز فيها جرجي زيدان على

عنصر التشويق والإثارة، بهدف حمل الناس علي قراءة التاريخ دون كلل أو ملل، ونشر المعرفة التاريخية بين أكبر شريحة منهم،

فالعمل الروائي أخف ظلا عند الناس من الدراسة العلمية الجادة ذات الطابع الأكاديمي المتجهم.(ينظر جرجي زيدان محمد عبد الغني حسن، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠م)

(٤)" لقد اتَّصف باكثير بعدّة صفات جعلَتْ منه رائدًا للرواية التاريخيَّة الإسلاميَّة بحقّ؛ فهو أولاً أديبٌ ملتزم، وهو مُتعدّد المواهب؛ فقد كان شاعرًا ومسرحيًّا وروائيًّا وكاتبًا مُفكّرًا، وهو غزير الإنتاج؛ فقد ألَّف أكثر من تسعين كتابًا بين رواية ومسرحيَّة شعريَّة ومسرحيَّة نثريَّة ودراسة، وكان صاحب رسالة، وكان ملتزما بالقِيم والمبادئ الإسلاميَّة مع المحافظة على النواحي الفنيَّة، فلم تطغَ الخطابيَّة ولا الوعظيَّة على أعماله، فقد جمع بين الالتزام والفن في مزيجٍ جميل بديع، وقد عدَّه الدكتور محمد أبو بكر حميد المتخصّص في أعماله رائدًا للاتِّجاه الإسلامي في الرواية التاريخيَّة العربيَّة" (ينظر مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٢٩، المجلد الثامن، ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م، ص١٤.علي أحمد باكثير، النشأة الأدبية في حضرموت (مقال) محمد أبو بكر حميد)

الجاهلي(١)،وجسد فيها واقع المجتمع الجاهلي، كذلك مسرحيته مجنون ليلي(٢)التي درات أحداثها في عصر بني أمية، ويتضح جلياً كيف وظف أحمد شوقي التاريخ، وربط بينه وبين الأدب.

ومما سبق نخلص إلى أن الدراسات البينية التي تمت وسوف تتم بين علم الأدب وعلم التاريخ تترك بصماتها واضحة في الطرفين، فكل حقل رفد الحقل الآخر مما جعل جسور التواصل تمتد بينهما. وهكذا نجد أن الشاعر كثيراً ما يلجأ إلى ذاكرة التاريخ ليستلهم منها الدر النفيس وتعيد على مسامعه ذكرى أيام خلون، بينما يلوذ المؤرخ بحمى القوافي ويستنطقها لتحكي له عن الماضي، وهكذا مهد هذا التكامل بين الأدب والتاريخ إلى الدراسات البينية التي تناولت تاريخ الأدب في العصور الزمنية المختلفة.

وكذلك امتد تكامل التاريخ علم الجغرافيا وكان حصيلته المؤرخ الجغرافي ومنهم سبيل الذكر لا الحصر المسعودي (ت ٩٥٦هـ) والبلاذري (ت ٨٩٢) صاحب كتاب فتوح البلدان. وكان الأصمعي من علماء الجغرافيا فضلاً عن علمه الغزير بالتاريخ فقد استشهد به ياقوت في مقدمة كتابه معجم البلدان، بقوله:" أما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب وهو : أبو سعيد الأصمعي "(٣) وسوف يبسط المبحث التالي عن التكامل الذي تم بين الأدب وعلم الجغرافيا.

ثالثًا: الدراسات البينية في حقلي الأدب الجغرافيا

عرف جويدي الجغرافيا بقوله: "لفظ الجغرافيا معرب عن اليونانية فهو مركب في الأصل من كلمتين الأولى(جي) أي الأرض والثانية (جرافي)أي الرسم والتصوير فمعنى الكلمة هو رسم الأرض وتصويرها"(٤)

(١)مسرحية عنترة: أحمد شوقي، منشورات كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١١م.

(٢)مسرحية مجنون ليلى تأليف أحمد شوقي، مطبعة مصر، د. ت.

(٣)معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر بيروت الطبعة الأولي ١٩٧٧م المقدمة ص/ ١١.

(٤)محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة العربية عند العرب : السنيور جويدي مجلة الجامعة المصرية ، د. ت، ص/ ١٦

أما تعريف اليونسكو خلص إلى أن:(الجغرافيا لا تقتصر علـى إدراك العَلاقـات بين الإنسان وبيئته فحسب، بل إنها تقوم على الوصف والتحليل والتعليل، وعلى توزيع مظاهر المشهد على سطح الكرة الأرضية؛ وهي بذلك علمٌ توليفي وتحليلي لجميع أنماط التفاعل بين الإنسان وبيئته)[1] وفطنة الرجل الجاهلي وحضور بديهته، وقوة ملاحظته للظواهر الطبيعية ، كل هذه الآليات جعلته يتقصى الدروب لمعرفة الأماكن والبلـدان، أضف إلى ذلك حب الاستطلاع الذي نما وترعرع معه لمعرفة البلدان.

لقد تفرد الشعر العربي بظاهرة فريدة تعد من أهم سماته وهي ذكر الأمكنة، فالقصيدة العربية تزخر بذكر الأمكنة وخاصة في مطلعها، والمكتبة العربية أفردت مساحة طيبة لهذا الموضوع فقد أفاد العديد من الكتاب من النصوص الشعرية في مصنفاتهم وعلى سبيل الذكر لا الحصر معجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وللزمخشري أسماء الجبال والأمكنة، وللهمداني صفة جزيرة العرب، وغيرها العديد من المصنفات التي اعتمدت في مادتها على ما جادت به القريحة العربية من وصف دقيق للأمكنة ورسم للخرائط بلغة القوافي، ومن الملاحظ أن رجل الصحراء عرف بفطنته علم الجغرافيا، لكنه لم يتمكن من وضع التفاصيل الدقيقة؛ لأنه صب جل همه في وصف ديار محبوبته، وما بقى من آثار تدل عليها، وإن قصرت به الخطى يتابع بخياله رحلتها مع أهلها وعشيرتها، ويتحسر على البعد الجغرافي الذي يفصل بينهما، وتراه يحط رحال أشواقه أينما نزلت، وعندئذ يصف ديارها ويبث كل أسباب الحياة في الطل الصامت، ويجعله يموج بالحركة؛ مما يفسح المجال لدراسة اللوحة الفنية بكل أبعادها من الناحية الجغرافية أي الجغرافيا البشرية والغطاء النباتي والغطاء الحيواني؛ فضلاً عن التربة التي يشم فيها عبق المحبوبة، ولمعان البروق الذي يهيج فيه كل طاقات العشق الكامنة فيه؛ لذا يمكن القول أن هنالك العديد من الأسباب توفرت للرجل العربي مكنته السير داخل دهاليز علم الجغرافيا منها:

(1) UNESCO, Source Book for Geography Teaching, london longmans, Fifth edition, ١٩٧٠, PP. ١, ٢١

أن طبيعة الحياة الجاهلية قد فرضت عليهم الحل والترحال من أجل الماء والمرعى فكانوا يجوبون تلك المساحات الشاسعة المترامية الأطراف وكثيراً ما تخلو من الأنيس والجليس؛ لذا كانوا في سفرهم يحتاجون إلى علامات يهتدون بها أو إمارات توضح الطريق، لذا كثيراً ما يضعون بعض العلامات أو منارات كما ورد على لسان أمرئ القيس:

على لاحـــــبٍ لا يَهتَدي بِمَنارِهِ إذا سافَهُ العَودُ النُباطِيُّ جَرجَرا [1]

ومنهم من اهتدى بالكواكب في سفره، واعتمدوا على الشمس في تحديد ساعات النهار، وكان القمر كذلك من آليات التوقيت الزمني وتحديد ساعات الليل، وذكر ابن منظور:" وأنسوا بالقمر لأنهم يجلسون فيه للسمر، ويهديهم السبيل في سرى الليل والسفر، ويزيل عنهم وحشة الغاسق، وينم عن المؤذي والطارق"[2]كما عرفوا الأنواء وهي منازل النجوم وقد ارتبطت في أذهانهم بالمطر، ومن ذلك قول لبيد في معلقته:

رُزِقَتْ مَرابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَـا وَدَقُّ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَـا [3]

ووصف الفلكي عبد الرحمن الصوفي (ت٣٧٥) كتاب الأنواء للدينوري بقوله: " ووجدنا في الأنواء كتباً كثيرة، أتمها وأكملها في فنه كتاب أبى حنيفة الدينوري، فإنه يدل على معرفة تامة بالأخبار الواردة عن العرب في ذلك وأشعارها وأسجاعها فوق معرفة غيره ممن ألفوا الكتب في هذا الفن. ولا أدرى كيف كانت معرفته بالكواكب على مذهب العرب عيانا، فانه يحكى عن ابن الأعرابي وابن كناسة وغير هما أشياء

(1)ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٨م.ص/ ٩٦. وقوله لاحب: أي الطريق، وسافه: بمعنى شمه، النباطي : الضخم، وجرجر : ضجج.

(2)سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، تحقيق محمد جلال الدين المكرم (ابن منظور)تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٠م، ج١/ ٧٢.

(3)ديوان لبيد بن ربيعة: حمدو طماس، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ص/ ١٠٧.

كثيرة من أمر الكواكب تدل على قلة معرفتهم بها. وإن أبا حنيفة أيضا لو عرف الكواكب لم يسند الخطأ اليهم "(١)

وكانت النجوم من معتقدات العرب في الجاهلية واحتلت حيزاً كبيراً من حياتهم لأن المطر من النجوم وقولهم :" مطرنا بنوء كذا... وكانوا يركبون البحر.وركوب البحر يحتاج الى علم بالنجوم ... وقد اتخذ الجاهليون النجوم دليلاً لهم يهتدون بها في ظلمات البر والبحر .وقد أشير الى ذلك في سورة الأنعام وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) ... .فكانوا اذا سألهم سائل عن طريق قالوا" :عليك بنجم كذا وكذا"، أو" خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها..." (٢)،ولم يكن حد علمهم القمر بل عرفوا العديد من الكواكب وكثيراً ما شبهوا الممدوح بها ومن ذلك قول النابغة الذبياني:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ(٣)

والشاعر عندما يذكر البرق والمطر يكنه يريد أن يشير بطرف خفي إلى أماكن لابد أن يلتفت إليها الناس ويعرفوها حتى يرتادونها لاحقاً لما يتوفر فيها من الخير العميم بعد نزول الأمطار.

وكذلك من الآليات التي مكنتهم من معرفة علم الجغرافيا اشتغالهم بالتجارة؛ إذ كانت تعد من أشرف المهن ونجحوا فيها على مستوى التجارة الداخلية (داخل جزيرتهم) فقد كانوا يشهدون أيام الموسم حيث يفد عليهم التجار من شتى أنحاء الجزيرة ، أما تجارتهم الخارجية وصلت قوافلهم التجارية إلى بلاد الشام واليمن كما كانت لهم علاقات تجارية مع عدد من الأمم والشعوب، ومن ذلك معرفتهم

(١) الأنواء في مواسم العرب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(٢٧٦هـ) دار الشؤون الثقافية العامة بغداد١٩٨٨م،المقدمة ص/ ١٥ــ١٦.

(٢)المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد العلي، ص / ١٩١٢ــ ١٩١٥.

(٣)ديوان النابغة الذبياني : تحقيق كرم البستاني ،طبع بيروت ، د. ت، ص/ ٤٠. وقوله: كليني أي دعيني وهمي، والهم الناصب هو الهم الذي لا يفارق صاحبه.

امدن وقرى بالشام كما أشار النابغة الذبياني في داليته إلى مدينة تدمر وكانت نقطة التقاء بين مملكتين عظميتين وهما الفرس في الشرق والرومان في الغرب :

وَخَيْسِ الْجِنِّ أَنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ(١)

ونخلص إلى أن الصلة كانت وثيقة بين الشعر والجغرافيا، فالشاعر عندما ينشد قصيدته يتفاعل مع بيئته؛ فضلاً عن ذلك فقد كان للشعر اليد الطولي في معرفة الوهاد والوديان والواحات والسهول، الجبال، والشعاب، فالشاعر درج على أن يبدأ قصيدته بذكر ديار قومه، ويتغزل في جمالها وطبيعتها الساحرة، ورسم بقوافيه لوحات فنية آية في الجمال، وقد خلدت هذه اللوحات الفنية أسماء الأماكن، لذا نجد أن ديوان العرب كان، مصدراً مهماً للمؤرخين والبلدانيين والجغرافيين وأمدهم بأسماء البلدان والأماكن، وخصوصاً الجبال والهضاب والأودية والرمال والشعاب والأطلال والآثار. ويندر أن تخلو مطالع القصائد من ذكر الديار والأطلال الدارسة، ومن الشعراء من يذكر ديار قومه ويتغنى بجبالها وهضابها وسفوحها وشعابها وأوديتها وأمطارها، وكثير من هذه الأماكن بقيت معروفة حتى زماننا هذا، وحفظها الشعر العربي بأسمائها التي عرفت بها من سالف الزمان أو كما ذكرها الشعراء، بل إن بعض الجغرافيين يذهب إلى هذه الأماكن والمسارح، ويقف كما وقف الشعراء الأوائل من قبل، ليقارن بين النص الشعري وبين طبيعة المكان، يجد الشاعر قد صور الواقع، بل يجد التطابق التام بين اللوحة الشعرية والبيئة الجغرافية. وحدث أن أنقذ امرؤ القيس وفداً من اليمن من الموت عطشا في ميميته التي وصف فيها الحمر الوحشية :" فقد روى هشام بن محمد بن السائب الكلبي، حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب، عن أبيه، عن جده قال: بينا نحن عند رسول الله إذ أقبل وفد من اليمن، فقالوا: يا رسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس. قال: وكيف ذاك؟ قالوا: أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق، فمكثنا ثلاثا لا نقدر على الماء، فتفرقنا إلى أصول طلح

(١)المصدر السابق/ ص٢١. وقوله خيس الجن: أي ذللهم ، والصفاح حجارة كالصفائح عراض، وتدمر مدينة من مدن الشام.

وسمر، ليموت كل رجل منا في ظل شجرة، فبينا نحن بآخر رمق إذا راكب يوضع على بعير فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع:

ولما رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ همُّها وأَنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِها دَامِي

تَيَمَّمتِ العَيْنَ التي عِنْد ضَارِجٍ يَفِيءُ عليها الظلَّ عَرْمَضُها طَامِي

فقال الراكب: ومن يقول هذا الشعر وقد رأى ما بنا من الجهد؟ قال قلنا: امرؤ القيس بن حجر، قال: والله ما كذب هذا ضارج عندكم، فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعا، فحبونا إليه على الركب، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفيء عليه الظل"(١)

لقد حفظت هذه الصور الشعرية الرائعة واللوحات الفنية التي رسمها الشعراء بقوافيهم حفظت أسماء العديد من الأماكن، حفظتها في بطون القوافي ، وربطت حياة العرب ولغتهم الفصحى بأعلام ثابتة ثبوت اللغة العربية وتراثاها التليد.

فالشاعر الجاهلي صال وجال في صحرائه، وكانت قوافيه هي المصدر والرافد الذي رفد علم الجغرافيا بمعلومات غزيرة، وذخيرة معرفية؛ إذ اعتمد عليها الجغرافيون في معرفة البلدان والأماكن، فالرحلة قد تكون جماعية تحت مظلة القبيلة من ديار إلى أخرى، أو من بلد إلى بلد إلى آخر من أجل الماء والكلأ، وقد يكون الهدف منها الوصول إلى المحبوب للتمتع برؤيته، أو الممدوح لنيل عطاياه ونواله وأياً كان نوع الرحلة فخط سيرها يفرض عليها أن تمر بعدد من البلدان، وهذه البلدان أو الأمكنة قد تسلب لب الشاعر وخياله، ويسجلها في شعره واصفاً لها وصفاً دقيقاً وكأنه يتحول من شاعر إلى عالم من علماء الجغرافيا أو كأنه يستنهض في دواخله همة عالم الجغرافيا الحاذق بالدروب. وكثيراً ما يَعبَد الشاعر بقوافيه الطريق لمن يأتي بعده، بل يرسم خريطة للطريق يهتدي بها كل من يريد أن يسلك أي درب من الدروب بعده، ومن هذه

(١) البداية والنهاية: ج٢/ ١٦١. وأراد الشاعر بالشريعة مورد الماء. وفرائصها جمع ومفردها فريصة وهي اللحمة بين الجنب والكتف. ضارج: موضع العرمض: الطحلب. والطامي : المرتفع. (ينظر ديوان الشاعر ص/ ١٥٥)

النماذج رائية امرئ القيس التي نظمها وهو في طريق رحلته لقيصر روما وكان الغاية من

هذه الرحلة أن يجد العون والمدد من القيصر؛ حتى يتمكن من الثأر لمقتل والده واستعادة ملكه الذي ضاع، ويصرح بذكر الأماكن التي مر بها في طريق رحلته منها حماة وشيزر، وذلك في قوله:

تَقَطَّعَ أسبابُ اللُّبَانَةِ والهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا

فالبلدتان حماة وشيزر من أعلام الطريق المؤدي إلى بلاد الروم، ومن الأماكن التي ورد ذكرها في الشعر العربي أنطاكية؛ وكانت يومئذ قد اشتهرت بصناعة النسيج، إذ كانت تصنع فيها البسط وتنسب إليها، ومن ذلك قول امرئ القيس :

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أو كجَنَّةِ يَثْرِبِ(١)

وكان لبلاد الشام ومدنها وقراها حضوراً متميزاً في الشعر العربي؛ وخاصة المدن التي اشتهرت بصناعات بعينها ومنها الأندرين التي اشتهرت بصناعة أجود أنواع الخمور ، وذكر ياقوت الحموي:(أندرين اسم قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في طرف البرية ليس بعدها عمارة وهي الآن خراب ليس بها إلا بقية جدران وإياها على عمرو بن كلثوم في معلقته (ولا تُبقِي خُمورَ الأندَرينا) وأضاف الحموي: وقال الأزهري: الأندر قرية بالشام فيها كروم وجمعها الأندرين) (٢)

ولم يحصر الشاعر الجاهلي نشاطه العملي أو الثقافي داخل جزيرته فحسب، بل امتد نشاطه التجاري والثقافي إلى خارج حدود جزيرته، وكان للقوافل التجارية نشاط واسع ، وكثيراً ما كان الشعراء يرحلون خارج جزيرتهم لمدح الملوك والأمراء والشاهد على ذلك رحلات حسان بن ثابت ملوك الغساسنة والمناذرة مادحاً لهم.

أما المدن والبلدان التي تقع خارج حدود جزيرة العرب فكثيرة منها مدينة أنقرة التركية حيث ذهب امرؤ القيس إلى قيصرها ليعينه على استعادة ملك أبيه الذي ضاع

(١)ديوان امرئ القيس : ص/ ٧٤.القمعة: نوع من أنواع الوشي. الجرمة: ما صرم من النخل وألقى في الأرض.

(٢)معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، ص / ٢٥٦.

منه، لكن بسبب كيد من كاد له مات ولم يحقق هدفه إذ أهداه القيصر حلة مسمومة أدت إلى وفاته وقال وهو يحتضر: "رب خطبة مسحنفره، وطعنة مثعنجره، وجفنة مستحيرة حلت بأرض أنقرة "(١)

وأطلق اسم أنقره علىٰ أكثر من مدينة كما أشار ياقوت الحموي: (وأنقره ضاحية من ضواحي الحيرة في قول الأسود بن يعفر:

ماذا أؤمّلُ بعدَ آلِ مُحرِّقٍ تركوا منازلَهمْ وبعدَ إيادِ ؟
نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ(٢)

كذلك خلد أبو تمام أنقره في بائيته، عندما فتحها الخليفة العباسي المعتصم وهو في طريقه لفتح عمورية:

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّوريَّةَ انْصَرَفَتْ منكَ المُنى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ
جَرَى لهَا الفألُ بَرْحاً يَوْمَ أَنقرَةٍ إذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ والرَّحَبِ (٣)

ومن اللوحات الفنية الجميلة التي جادت بها قريحة زهير بن أبي سلمى وصفه لخط سير رحلة الظعائن، فالشاعر رسم هذه اللوحة بحسه المرهف ولونها بأحاسيسه، وتابعها بعقله وقلبه، وانتقلت هذه المشاعر النبيلة إلى السامع الذي تداعت له مشهد الرحلة وتجسدت أمام عينيه:

(١)الكامل في التاريخ: محمد بن محمد بن عبد الكريم الأثير الجزري(٦٣٠ هـ) تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ج١ ص/ ٤٠٥.وذكر البغدادي (فلما أيقن بالموت، قال: الرجز

كم طعنة مثعنجره ... وخطبة مسحنفره وجفنة مدعثره ... قد غودرت بأنقره

وكان هذا آخر ما تكلم به، ومات.والمثعنجرة: السائلة. والمسحنفرة: الواسعة، في الصحاح، يقال: اسحنفر في خطبته، إذا مضى واتسع في كلامه. والجفنة، بفتح الجيم: القصعة. والمدعثرة: المتثلمة والمتكسرة(ينظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي(١٠٩٣هـ) تحقيق أميل يعقوب، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٨م،ص / ٦١.

(٢)معجم البلدان: الحموي، ج١/ ٢٦٠

(٣)ديوان أبي تمام: تقديم وشرح محيي الدين صبحي، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص/٤٦ــــــ٥٠.

أبصرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ تحمّلنَ بالعلياءِ من فوقِ جُرثُمِ
يكرّرن كُوراً واستحرنَ بسُحرةٍ فهُنَّ لوادي الرسِّ كاليدِ للفمِ
وعلن القنانَ عن يمينٍ وحزنهُ ومن بالقنانِ من مُحلٍّ ومُحرمِ
فهرن من السوبانِ ثمّ جزعنهُ على كُلِّ قينيٍّ قشيبٍ مُفأمِ(١)

ويحدثنا النص أن الرحلة بدأت من المكان الذي يسمى بالعلياء الذي لا يبعد كثيراً عن وادي الرس ثم دلفت الرحلة إلى الموضع الذي يسمى بالقنان، ومنه يممت الرحلة صوب السوبان، وهكذا ارتدى زهير بن أبي سلمى عباءة الجغرافي الحاذق وحدد معالم هذا الطريق ورسم هذه الخريطة، وسخر آلياته الفنية ليسحر السامع ويسبي مشاعره، بينما وفر مادة غزيرة لعلم الجغرافيا، والدراسات البينية التي تقوم بين حقلي الأدب والجغرافيا قد تستفيد منها حقول كثيرة على سبيل الذكر لا الحصر علم الآثار لأن معرفة المدن الأثرية القديمة يرفد علم الآثار بمعلومات قيمة، وكذلك علم التاريخ مما يعين الدراسين على معرفة تاريخ المدن ودورها في بناء الحضارات القديمة، كذلك الدراسات البينية التي تتم في حقول الأدب والجغرافيا مهمة جداً لعلم الاجتماع لأن معرفة السكان في إقليم ما، وعاداتهم وتقاليدهم، كل هذه المحاور من المعلومات القيمة التي ترفد علم الاجتماع، كما أمد الشعر الجاهلي علماء النبات بذخيرة طيبة، لأن الشاعر كثيراً ما يشير إلى أنواع النباتات الموجودة في بيئته ونلمس هذا ونشاهده في صوره الشعرية الرائعة وفي تشبيهاته البليغة.

ومن الشعر تعرف رجل الصحراء على الدروب التي يسلكها؛ لأن رحلاته شملت كل أنحاء جزيرته؛ التي خبر دروبها وعرف شعابها، كما امتدت هذه الرحلات إلى خارج حدود جزيرته ومنهم من كل يمتهن مهنة الدليل أي يقوم بمهمة الارشاد للقوافل حتى لا تتوه في الصحراء، وكانت النجوم من أهم الآليات التي تعينهم على قطع المسافات تحت جنح الليل الكواكب التي كانت تيسر لهم هذه المهمة الصعبة؛ لذا نجد

(١)ديوان زهير بن أبي سلمي: اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م، ص/ ٦٦ــ ٦٧.وقوله قيني من القين وهو الصانع من حداد ونجار أو جزار أو غيرهم ، القشيب أي الجديد أو الحديث، المفأم : هو الموسع.

رجل الصحراء التفت إلى النجوم ودرس حركة سيرها والأنواء وتتبع مساقط الأمطار وعرف زمن هبوب الرياح وهكذا فتح الشعر الباب على مصراعيه في كل ما يخص علم الجغرافيا وما يلحق به من علوم أو تدور في فلكه مثل الإرصاد الجوي.

ووقف الجغرافيون عند النصوص التي جادت بها قريحة الشعراء، واستخلصوا منها حزماً عديدة من الحقائق الجغرافية، ومن ثم أخضعوها للدارسة والتحليل وتمكنوا من معرفة العديد من الأماكن والمدن مكنتهم من رسم العديد من الخرائط ومن المطالع الطللية التي ورد فيها ذكر الديار معلقة الحارث بن حلزة:

آذَنَتنا بِبَينِها أسمـــاءُ رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنـــهُ الثَّواءُ
بَعدَ عَهد لَنا بِبُرقَةِ شَمّاءَ فَأَدنَى دِيَارِهـــا الخَلْصَاءُ
فَالمحيَاةُ فَالصفَاجُ فَأعنَاقُ فَتَاقٍ فَعاذِبٌ فَالوَفـــاءُ
فَرِيَاضُ القَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُـــ ـرِبَبِ فَالشُعبَتَانِ فَالأَبْلاءُ(١)

رسم الحارث بن حلزة في همزيته خريطة جغرافية توضح الأماكن التي كان قد عهد فيها محبوبته وهي برقة شماء والخَلصاء والمحياة والصفاج وأعناق فتاق وعاذب والوفاء ورياض القطا وأودية الشربب والشعبتان والأبلاء، عدد الحارث بن حلزة كل هذه الأماكن بقوافي الشاعر الجغرافي، وبينما وصف زهير بن أبي سلمى خط سير رحلة الظعائن معدداً الأماكن التي مرت بها هذه الرحلة.

كذلك من المصادر التي اعتمد عليها الجغرافيون في معرفتهم للأماكن والمدن ما ورد في شعر العرب من ذكرهم لأيامهم ووقائعهم؛ إذ كثيراً ما كانوا يذكرون أسماء الأماكن التي كانت مسرحاً لحروبهم و غزواتهم، وذكرهم للأماكن في حالة الحرب يأتي من باب التوثيق للحرب التي دارت رحاها، وغالباً ما تنسب الحرب إلى المكان الذي وقعت فيه أياً كان هذا المكان، وقد يكون جبل أو موضع ماء بعينه، ومن تلك الأيام التي دارات رحاها في الجاهلية يوم خزازة ومنها قول عمرو بن كلثوم:

وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِي خَزَازَى رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا (١)

(١)ديوان الحارث بن حلزة: تحقيق أميل يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩١م، ص/ ١٩ــ ٢٠ .

حدد أبو عمرو خزازا فقال: هو جبل (مستفلك)، قريب من إمَّرَة ، عن يسار الطريق خلفه صحراء منعج، يناوحه كير و كوير، عن يمين الطريق إلى إمَّرَة ، إذا قطعت بطن عاقل. قال: و لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز(٢) وعرف الزمخشرى جبل خزازى بقوله : جبل كانوا يوقدون عليه غداة الصباح" (٣)، قال الحارث بن حلّزه:

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكَ الصَّلاءُ(٤).

بينما وثق عبيد بن الأبرص للتضاريس طبيعية مختلفة منها الجبل ومنها عين الماء ومنها الرض السهلية:

فقر من أهله ملحوبُ فَالقُطَبِيَّاتُ فَالذُّنوبُ (٥)

وأهمية الماء تكمن في كونها عصب الحياة، وأهميتها تتعاظم في البيئة الصحراوية؛ حيث يكون الاعتماد على ما تجود به السماء في فصل الأمطار وما تدخره الأرض في جوفها، وما يجري في سطحها من بحار وأنهار وعيون، وأكثر الشعراء من الإشارة إلى أماكن المياه وسموها بأسمائها، وأحياناً نسبوا المكان إليها ومن أشهرها غسان فهو اسم ماء في بادية الشام وإليه نسب الغساسنة(٦)وسموا به؛ في كل زمان وأي مكان ووقف الجغرافيون عند حقيقة مهمة واستمدوا منها العديد من الحقائق، وهي أماكن المياه، ولأهميتها في بيئتهم الصحراوية. ومن الأماكن التي وصفها الشعراء

(١)ديوان عمرو بن كلثوم: جمعه وحققه وشرحه أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص/ ٨٢.

(٢)معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : البكري الأندلسي، ج٢/ ٤٩٧.

(٣)الجبال والأمكنة والمياه: أبو القاسم الزمخشري (٥٣٨هـــ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون بغداد١٩٨٦م، ص/ ١٢٤

(٤)ديوان الحارث بن حلزة: ص/ ٢١.

(٥)ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق حسن نصار، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٧م، ص/ ١٩. ملحوب موضع ماء، القطبيات اسم جبل والذنوب موضع.

(٦)المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد العلي ج١/ ٦٣٥.(و يسمى الغساسنة أيضا بـــ(آل جفنة) وبـــ(أولاد جفنة) نسبة إلى أول ملوكهم جفنة بن عمرو مزيقياء، وكذلك يسمون بـــ(آل ثعلبة) نسبة إلى جد لهذه الأسرة يعرف باسم ثعلبة بن مازن)

المتثلم ومن ذلك قول وذكر عنترة شداد العبسي المكان الذي نزلت فيه محبوبته عبلة؛ بينما عدد ديار عشيرته:

وتَحُـلُّ عَبلَةُ بِالجَوَاءِ وأَهْلُنَـا بالحَـزنِ فَالصَّمَـانِ فَالمُتَثَلَّـمِ[1]

فالحزن والصمان والمُتثلَّم في شرقي نجد فالشاعر يصف دياره التي نشأ وترعرع فيها، فنجد هي دار بني عبس، وشاركه في وصف الديار النجدية شاعرها زهير بن أبي سلمى إذا كانت عشيرته تعيش في الحاجز من ديار نجد

أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ بِحَومانَةِ الدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ[2]

ومن الجبال التي ورد ذكرها جبل ثور، ووصفه الأزرقي بقوله:" ثور جبل بأسفل مكة على طريق عرنة فيه الغار الذي اختبأ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق وورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ ومنه هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى المدينة" [3] وذكر أبو طالب في لاميته أهمية جبال مكة وارتباطها بالعبادة، فجبل ثور له شأن عظيم في تاريخ السيرة النبوية العطرة ــ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ــ كما أقسم بكل من قصد جبل حراء من أجل العبادة

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَالَمْ نُحَاوِلِ
وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِبِرٍ فِي حِـرَاءَ وَنَازِلِ[4]

وكان للطبيعة الصامتة حظ وافر من النصوص الأدبية، وطبيعة الأرض الجبلية، جعلت الشاعر يقف عندها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمة، وكثيراً ما كان تأمل في صمتها وصبرها، ومن هذه الجبال جبل كداء وقد أكثر الشعراء في مختلف العصور

(١)ديوان عنترة: ص/٨٠.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى: ص/٦٤.

(٣)معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم: سعد بن عبد الله بن جنيدل، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص/ ٢٤٠

(٤)السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (٢١٨هـــ) تحقيق مصطفى السقا وأخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٦م.ج١/ ٢٧٢ ــــــــــ ٢٨٠.

من ذكره منهم على سبيل الذكر لا الحصر حسان بن ثابت ذكر جبل كداء (وهو جبل يدخل عن طريقه إلى مكة) يوم فتح مكة :

عدمنا خيلنا إنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُها كَدَاءُ[1]

كذلك أشار قيس الرقيات إلى جبل كَداء:

أقفرتْ بَعْدَ عَبْدِ شَمْسٍ كَداءُ فَكُدَيٌّ فَالرُكْنُ فَالبَطْحَاءُ[2]

وشكل جبل كداء حضوراً متميزاً في أخيلية الشعراء في مختلف عصور الأدب إذ يشير إليه أبو تمام في همزيته التي مدح بها خالد بن يزيد الشيباني:

وَعَرَفْتُ عَرَفَاتُ زَاخِرَهُ ولَمْ يُخْصَصْ كَداءٌ مِنْهُ بالإكداءِ[3]

ومن التقدم الذي شهده علم الجغرافيا ما قام به الجغرافي الإدريسي؛ ويشهد له كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق بالدور العظيم والرائد الذي قام بها في حقل الجغرافيا إذ تمكن من رسم خريطة للعالم تعد من أفضل الخرائط، اعتمدها الأوربيون لأكثر من ثلاثة قرون بعد وفاته، كما ضم الكتاب بين دفتيه مجموعة من الخرائط بلغ عددها سبعون خريطة، كما زود الكتاب بوصف لأحوال البلاد وفيها من تضاريس طبيعية، وبعض سبل كسب العيش فيها أي حرف سكانها من زراعة وتجارة وصناعة، وتناول ما يعرف اليوم بالجغرافيا البشرية إذ تناول حال السكان وعاداتهم وتقاليدهم.

عليه نستطيع القول أن الشاعر رسم بقوافيه العديد من الخرائط التي اعتمد عليها الجغرافيون فيما بعد، ولا يغيب عن البال أن الخرائط من أهم آليات علم الجغرافيا. لقد غاص النص الشعري داخل أعماق هذا العلم لذا نجده تارة يصف الجغرافيا البشرية وأحيانا يقف عند بعض الظواهر الطبيعية ويتناولها بالتحليل أو التعليل؛ عليه نستخلص أن النصوص الشعرية التي جادت بها قريحة الشعراء وضعت اللبنات الأولى لعلم الجغرافيا الذي يَسَّر فهم العديد من الظواهر الطبيعية والبشرية وفسرها تفسيراً

(١)ديوان حسان بن ثابت: شرح عبده مهنا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٤م، ص/١٩.

(٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ، د.ت ،ص/ ٨٩.

(٣)شرح ديوان أبي تمام: الخطيب التبريزي، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٤م، ج١/ ١٧. زاخره تعني كثيره وجاشه. وقوله كَداءٌ اسم جبل بمكة، أما الإكداء مصدر أكدى إذا قل خيره، وأكدى المكان إذا جحد نباته.

موضوعياً؛ لذا نجده يحمل لواء التنمية لما يتضمنه من تخطيط وبرامج تؤثر تأثيراً مباشراً في التنمية، ويمكن ملاحظة أن المؤلفات غلب عليها الطابع اللغوي ولكنها مهدت الطريق لمادة الأدب الجغرافي. ومن الفسائل التي غرسها الأدب في حقول الجغرافيا أو ما رفدت به الجغرافيا ميادين الأدب فكان علم الأدب الجغرافي، ومن حصيلة الدراسات البينية التي تمت بين الأدب والجغرافيا ما يعرف بأدب الرحلات، وفي هذا النوع من الأدب يتناول الكاتب كل ما شاهده بالوصف، ويلتقط كل المشاهد الحية بحس الأديب الجغرافي أو الجغرافي الأديب، ويجسدها في كتاباته بعد أن بث فيها كل أسباب الحياة ويجعلها تموج بالحركة، مما يجعلها تستقطب مشاعر القارئ وتستهويه وقد كتب العديد من الكتاب في هذا الضرب من الكتابة على سبيل الذكر لا الحصر ابن بطوطة ومن ذلك وصفه لمدينة الإسكندرية :" ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب: باب السدرة وإليه يشرع طريق المغرب، وباب رشيد، وباب البحر، والباب الأخضر، وليس يفتح إلا يوم الجمعة، فيخرج الناس منه إلى زيارة القبور. ولها المرسى العظيم الشأن ولم أر في مراسي الدنيا مثله إلا ما كان من مرسى كولم وقاليقوط ببلاد الهند، ومرسى الكفار بسرادق ببلاد الأتراك ومرسى الزيتون ببلاد الصين"(١) ونلاحظ المقارنة التي أجرها هذا الرحالة بين مدينة الإسكندرية وبلاد الهند وبلاد الأتراك وبلاد الصين؛ مما يدل على أنه زار كل هذه البلدان. ومما سبق نستخلص أن الدراسات البينية التي تمت في حقلي الأدب والجغرافيا أثمرت في عدد من الدراسات، ويقدم صاحب كتاب الأدب الجغرافي العربي:" عرضاً منظماً للأدب الجغرافي ابتداء من ظهور التصورات الجغرافية الأولى عند العرب التي نلتقي بها في أقدم آثار الشعر الجاهلي وفي القرآن، ويضيف قائلاً :" لقد حظي تاريخ الأدب الجغرافي العربي بدراسات عامة وأبحاث خاصة ليست قليلة،... من كبار المتخصصين في ميدان الجغرافيا التاريخية عند العرب "(٢)

(١)تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة): محمّد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة، شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت، ص/ ٦.

(٢)تاريخ الأدب الجغرافي العربي: أغناطيوس يوليا كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات جامعة الدول العربية ١٩٥٧م، ص/ ٩.

النتائج

- الدراسات البينية حقل من حقول المعارف والعلوم، وهي وليدة التكامل الذي يتم بين حقلين أو أكثر من الحقول الأكاديمية،، وصميم مصطلح الدراسات البينية يعني التكامل والتداخل وقد تنشأ حقول معرفية جديدة نتيجة لهذا التداخل وهي قديمة قدم التراث العربي وقد درج كثير من علماء المسلمين على التأليف في أكثر من حقل من حقول العلم، واليوم اتجه العالم إلى هذا النوع من الدراسات لما لها من جدوى في مجال التعليم وجدواها يتمتع بها المعلم والمتعلم حتى سوق العمل أصبح في حاجة ماسة إلى هذا النوع من الدراسات لما يترتب عليها من إيجابيات.
- تفتح الدراسات البينية الباب على مصراعيه لتخصصات متنوعة، حيث تعتمد الدراسات البينية على معارف مستمدة من علوم متباينة، كذلك تعتمد الدراسات البينية على بيئة العمل؛ إذ يشترط توفير بيئة صالحة للعمل بروح الفريق الواحد تحت مظلة التعاون والتفاهم، كذلك تقدير و تثمين عمل الزملاء ضمن فوج العمل حتى يتم الاستفادة من العلوم والمعارف، وما يصاحب ذلك من ورش عمل، مما يعني تسخير كل آليات وتقنيات العمل الجماعي، فضلاً عن الاستفادة من الخبرات والمهارات السابقة، وكيف يتم الفهم الصحيح وما يسبقه من عملية العصف الذهني؛ فهي ليست علماً من العلوم ولكن بها تترابط العلوم وتتداخل، فهي آلية من آليات الفهم وبها يتحقق التطبيق العملي.
- حقول الدراسات البينية تحتاج إلى وضع الأسس العلمية المتينة حتى يحقق الفائدة المنشودة منها.
- الدراسات البينية من أهم المداخل للتخطيط الاستراتيجي الذي يعتمد على استشراف المستقبل ومحاولة الوقوف على التحديات التي قد تعترض طريقه لإيجاد الحلول الناجعة.

- في الدراسات البينية الطالب هو محور العملية التعليمية، لأن الدراسات البينية ترفض المواقف السلبية من الطرفين أي المعلم والمتعلم، بل تشجع وتحفز على صنع البيئة المبدعة التي تساعد على التجديد والابتكار.
- التعلم في مجال الدراسات البينة يعتمد على البحث والتنقيب ومحاولة اكتشاف الحقائق مما ينمي مهارة الملاحظة، وتكسب الدارس مهارة حسن الاستماع، والحوار والمبادرة والمبادأة فضلاً عن التفكير الموضوعي والنقد البناء وتقبل الرأي الآخر. وهكذا يتحقق مبدأ التعليم الذاتي؛ مما يدفع الدارس على المداومة والاستمرارية في البحث والتنقيب واكتشاف الحقائق والنظريات الجديدة. التي تعتمد على البراهين والمبررات

التوصيات

- تشجيع الدراسات البينية والتعاون بين التخصصات والأقسام العلمية، وتفعيلها، عليه لابد من إعداد باحثين في مجال الأدب العربي بوسعهم التفاعل مع العلوم الأخرى في شتى المجالات.
- الاهتمام بوضع الخطط اللازمة لتفعيل هذا النوع من الدراسات والبحوث ، كذلك لابد من الاهتمام ببرامج التدريب لما لها من أهمية في تفعيل هذا النوع من الدراسات.
- تطوير المناهج الدراسية في جميع المراحل؛ ولا سيما في المرحلة الجامعية وصولاً إلى مرحلة الدراسات العليا.
- لابد من السعي الدؤوب حتى تصبح الدراسات البينية ثقافة عامة بين أفراد المجتمع، بل إلى أسلوب حياة ونمط من أنماط التفكير، وذلك بفتح الباب على مصراعيه لكل المتخصصين في العلوم الأخرى للغوص داخل النصوص الأدبية لدراستها بعمق وتمحيصها وفحصها؛ لأنها ما زالت مليئة باللآلئ النفيسة في شتى ضروب العلوم والمعارف.
- ونرى كذلك أن تلك السمة الجديدة للمعارف والعلوم تحتم على الأقسام العلمية في مختلف الجامعات إعادة النظر في خططها الدراسية بهدف تضمينها، إلى

جانب المواد التخصصية الإجبارية، عدداً من المواد المساعدة من خارج التخصص الدقيق، يقوم الطالب باختيار بعضا منها بما يتناسب مع ميوله وتوجهاته المستقبلية. وقد تمكن هذه الآلية الطالب من الاستعداد بشكل أفضل لعصر التخصصات المتداخلة من خلال ممارسة الانفتاح المبكر على أكثر من مجال معرفي.

- تشير أهم النتائج إلى تشجيع الدراسات البينية بين فروع العلوم الاجتماعية، فالتغيرات المتلاحقة التي يشهدها العالم وتعقد الظواهر الاجتماعية والسياسية وتداخل أبعادها المختلفة يحتم على الدراسين في معظم الظواهر الاجتماعية الانفتاح على كافة المنظورات والمداخل والمناهج الاجتماعية.

ثبت المصادر والمراجع

القران الكريم:

- الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـــ)، تح شعيب الأرنووط ،تعليق مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ٢٠٠٨م
- البحر المحيط: محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي(٤١٤هـــــ)، دار الكتاب الاسلامي القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـــ.
- إشكالية مفهوم التداخل في الإسلام :بنيتها وتجلياتها، عبد المجيد الصغير ضمن أعمال ندوة دار الحديث الحسنية:٢٠١٠م.
- آليات قراءة النص الديني: يحي محمد، كلية المنهاج ٢٠٠٥م.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥هـــــ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة ١٩٩٨م .
- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، دار الهلال، د. ت.
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي:أغناطيوس يوليا كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات جامعة الدول العربية ١٩٥٧م.
- التحرير والتنوير، المقدمة الثانية، دار سحنون، تونس، د. ت.
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة): محمّد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة، شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.
- التسهيل في علوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزي(٧٤١هـــ)، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
- التفسير و المفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبه الطبعة السابعة ٢٠٠٠م.
- تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم: قراءة في أعراف الفهم الظاهري للخطاب القرآني، نعمان بوقرة، دار المدار ٢٠٠٦م.
- الثقافتان: «سى بى سنو»، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمى، د.ت.
- الجبال والأمكنة والمياه: أبو القاسم الزمخشري(٥٣٨هـــ) تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون بغداد ١٩٨٦م
- جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية محمد المالكي:١٢.منشورات كلية الآداب فأس المغرب:١٩٩٤م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي(١٠٩٣هـ)تحقيق أميل يعقوب، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

- ديوان أبي تمام: تقديم وشرح محيي الدين صبحي، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ديوان حسان بن ثابت: شرح عبده مهنا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٤م.
- ديوان زهير بن أبي سلمي: اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ، د.ت .
- ديوان على بن أبي طالب: جمع عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- ديوان لبيد بن ربيعة: حمدو طماس، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- زهر الآداب : أبو اسحاق بن إبراهيم الحصري(٤٥٣هـــــ)، تحقيق زكي مبارك، دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.
- السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري(٢١٨هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٦م.
- الشاهد الشعري في تفسير القرآن عبدالرحمن الشهري، دار المنهاج بالرياض الطبعة الأولى ١٤٣١هـــــ.
- شرح ديوان أبي تمام: الخطيب التبريزي، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٤م.
- الصاحبي: أحمد فارس بن زكريا (٣٩٥هـــــ)، تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٧٧م.
- صحيح البخاري: أبو عبدالله بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـــ)، دار ابن كثير، دمشق بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٩م.
- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١ هـ) تحقيق محمود شاكر، القاهرة ،د.ت.
- علم التخاطب اللساني: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، للدكتور محمد يونس، دار المدار: م٢٠٠٦.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن علي بن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.
- الفهرست: أبو الفرج محمد بن اسحاق (٣٥٨هـ) طبعة درا قطري بن الفجاءة١٩٨٥م.

- في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة الثانية، بيروت، دار الشروق ١٩٧٩م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري(ت ٤١١هـ)دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٩م.
- كتاب الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، دار إحياء التراث العربي لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـ)، دار صارد بيروت الطبعة الثانية ١٣٠٠هـ.
- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي(٦١١هـ)، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : أبو عبيد البكري الأندلسي(٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، عالم الكتب بيروت لبنان، د. ت.
- معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم: سعد بن عبد الله بن جنيدل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- المعنى وظلال المعنى: أنظمة الدلالة في اللغة العربية للدكتور محمد يونس، دار المدار ٢٠٠٧ م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد العلي، دار الساقي الطبعة الرابعة ٢٠٠١م.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، للدكتور محمد يونس، دار الكتاب ٢٠٠٤م.
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون(٨٠٨هـ)، دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
- من الاجتهاد في النص إلى الاجتهاد في الواقع الصادرة عن دار الكتب العلمية بيروت، د. ت.
- من ذخائر قبة الملك الظاهر المنتقى من أخبار الأصمعي:
- من العلم العلماني إلى العلم الديني: مهدي كلشني، ترجمة: سرمد الطائي، بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣م.
- المنتقى من أخبار الأصمعي: ضياء الدين المقدسي تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.
- منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية للدكتور حسن ملكاوي. منشوران المعهد العالمي للفكر الإسلامي: "٢٠١٢م.
- الموافقات: أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت ٧٩٠هـ)ضبط أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار بن عفان الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

- النحو وكتب التفسير : إبراهيم عبدالله رفيدة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. طرابلس الجماهيرية العربية الليبية الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- نظرية الدلالة في التراث العربي الإسلامي: أحمد المتوكل منشورات كلية الآداب الرباط، د.ت.

الدوريات

١ـ ثقافتنا للدراسات والبحوث العدد ٦ العدد الثاني والعشرون ٢٠١٠م

٢ـ محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة العربية عند العرب: السنيور جويدي (مجلة الجامعة المصرية)، د. ت، ص/ ١٦.

٣-UNESCO, Source Book for Geography Teaching, london longmans, Fifth edition, ١٩٧٠, PP. ١, ٢١